

المدح والذم^(١)

يأتى معنى المدح أو الذم إنشاءً لا إخباراً فى اللغة العربية فى ثلاثة تراكيب:

أولها:

استخدام (نعم) فى المدح، و (بئس) فى الذم.

ثانيها:

استعمال (حبذا) فى المدح، ونفيه بالسلب (لا حبذا) فى الذم.

ثالثها:

ضم عين الماضى من الأفعال، واستخدامه معنوياً بدلالة جذره، إن مدحاً وإن ذمّاً.

نعم وبئس

كلمتان تستخدمان لإنشاء المدح العام والذم العام، حيث لا يكون المدح أو الذم موجوداً فى أحد الأزمنة قبل النطق بهما، وهما يعبران عما يكمن فى النفس من مشاعر المدح أو الذم، فهما ليسا بإخبارٍ يحتاج إلى التحاور بسبب التصديق والتكذيب.

(١) الكتاب ١ - ٧٣، ٢ - ١٧٥، ٣ - ٢٦٦ / المقتضب ٢ - ١٤٠، ٤ - ١١٥، ١١٦ / الواضح ٩٦ / اللمع فى العربية ٢٢١ / التبصرة والتذكرة ١ - ٢٧٤ / المقتصد فى شرح الإيضاح ١ - ٣٦٣ / الفصل ٢٧٢ / المرتجل ١٦٠ / أسرار العربية ٩٦ / المقدمة الجزولية فى النحو ١٥٩ / شرح ابن عيش ٧ - ١٢٧ / شرح الرضى على الكافية ٢ - ٣١١ / المقرب ١ - ٦٥ / التسهيل ١٢٦ / الإرشاد إلى علم الإعراب ١٣٦ / شرح ابن الناظم ٤٦٧ / شرح ألفية ابن معطى ٢ - ٩٦٧ / شرح ابن عقيل ٣ - ١٦٠ / المساعد على تسهيل الفوائد ٢ - ١٢٠ / شفاء العليل ٢ - ٥٩٥ / الجامع الصغير ٧٧ / شرح جمل الزجاجى لابن هشام ١٨٩ / الصبان على الأشمونى ٣ - ٢٦ / الفوائد الضيائية ٢ - ٣١٢ / ارتشاف الضرب ٣ - ١٥ / كشف الوافية فى شرح الكافية ٣٨٧ / شرح التصريح ٢ - ٩٤.

نوعهما البنيوي

اختلف النحويون فيما بينهم فى النوعِ البنيوي لـ (نعم وبئس) بين الاسميةِ والفعليةِ على النحوِ الآتى^(١):

أولاً: هما فعلان:

ذهب البصريون والكسائي من الكوفيين إلى أنهما فعلان ماضيان، واستدلوا لذلك بما يأتى:

أ- إلحاق تاءِ التأنيثِ الساكنةِ بهما، فتقول: نعمت المرأة، وبئست المرأة.

وتاءِ التأنيثِ الساكنةُ تختص بإلحاقها بالفعلِ الماضى، فهى من علاماته، كما تلحق بالأحرف: لات، وربت، وثمرت، ولعلت، وإلحاق تاءِ التأنيثِ الساكنةِ بنعم وبئس إنما هو حالة جواز لا وجوب.

ب- إسنادُهُما إلى ضميرِ الرفعِ المتصل، كما يسند الفعلُ إليه، فقالوا: نعماً رجلين، ونعموا رجالاً...، كما قالوا: قاما، وقاموا. حيث الإسنادُ إلى ألفِ الاثنينِ وواوِ الجماعةِ.

كما يضمَرُ فيهما إذا قلت: نعم رجلاً، حيث فاعلٌ (نعم) ضميرٌ مستترٌ تقديرُهُ: هو، ولا يضمَرُ الضميرُ إلا فى الفعل^(٢).

ج- بناؤُهُما على الفتحِ كالأفعالِ الماضيةِ.

د- دخول لامِ القسمِ عليهما، وهى لا تدخلُ إلا على الأفعالِ، وقد ورد ذلك فى قولِ زهير:

يميناً لنعم السيدان وجدتما
على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومبرم^(٣)

(١) ينظر: أسرار العربية ٩٦، ٩٧ / شرح الموصلى لألفية ابن معطى ٢ - ٩٦٧، ٩٦٨.

(٢) ينظر: التبصرة والتذكرة ١ - ٢٧٥.

(٣) ديوانه ١٥ / شفاء العليل ٢ - ٥٩٠ / شرح الموصلى الألفية ابن معطى ٢ - ٩٦٧.

سحيل: الخيط الذى لم يحكم فتله، وهو كناية عن الأمر السهل، مبرم: الخيط الذى أحكم فتله، وهو كناية عن الأمر الشديد.

وفى رواية: لعمرى، وكلتا الروایتين مصدرهٗ بقسم، فاللام فى (لنعم) فى جوابِ القسم، فهى لامة.

وفى قوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]. والتقدير: والله لنعم، حيث اللامُ واقعةٌ فى جوابِ قسمٍ محذوف.

هـ- ورود (نعم) معطوفاً على الماضى فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥]. حيث عطف (نعم) على الماضى (نادى)، كما أن اللامَ فى (لنعم) لامُ القسم، والتقدير: فوالله لنعم...

ثانياً: هما اسمان:

ذهب الفراءُ وسائرُ الكوفيين إلى أنهما اسمان، واستدلوا على ذلك بما يأتى (١):

أ- دخول حرفِ الجرِّ عليهما: من علاماتِ الاسمِ دخولُ حرفِ الجرِّ عليه، ويستشهد أصحابُ هذا الرأى بقولِ الأعرابى الذى بُشِّرَ بمولودة: «والله ما هى بنعم الولد، نصرها بكاءً، وبرها سرقة». حيث دخل حرفُ الجرِّ (الباء) على (نعم) بما يدلُّ على أنه اسمٌ.

ومنه قولُ أعرابى آخر، وقد توجهَّ إلى محبوبته على حمارٍ بطيءٍ السير: «نعم السيرُ على بُسِّ العير»، فأدخل حرفَ الجرِّ (على) على الكلمةِ (بئس).

ومنه قولُ حسان بن ثابت:

أَلَسْتَ بِنِعْمَ الْجَارِ يُؤَلِّفُ بَيْتَهُ أَخَا قِلَّةٍ أَوْ مَعْدُومِ الْمَالِ مَصْرَمَا

حيث دخل حرفُ الجرِّ (الباء) على (نعم).

ومنه كذلك قولُ الشاعر:

صَبَّحَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ بَاكِرٍ بِنِعْمِ طَيْرٍ وَشِبَابٍ فَاخِرٍ (٢)

(١) يرجع إلى: أسرار العربية ٩٦.

(٢) شرح ابن الناظم ٤٦٧ / الهمع ٢ - ٨٤ / العينى ٤ - ٥٢ / الصبان على الأشمونى ٣ - ٢٧ / الدر ٢ -

١٠٨ / الدر المصون ١ - ٢٩٩.

لكن غيرهم يقدر موصوفاً محذوفاً مع صفتِهِ بعد حرفِ الجرِّ، وما هو بعد حرفِ الجرِّ من (نعم) أو (بئس) يكون معمولاً للصفة، والتقدير: ما هي بولدٍ مقولٍ فيه نعم الولد، على غير مقولٍ فيه بئس العير.

وعليه يقدر في قول حسانٍ محذوفٌ تقديرُهُ: أَلَسْتُ بجارٍ مقولٍ فيه نعم الجار.

ب - كما يستشهدون على اسميتهما بأنهما لا يتصرفان، والتصرفُ من خصائصِ الأفعال.

ويرد على ذلك بأن وضعهما لإنشاء المدح والذم يكون للآن أو الحاضر، وليس للماضي ولا للمستقبل، فلم يحتاجا إلى تصرف.

ج- وكذلك لا يحسن اقترانُ الزمان بهما كسائرِ الأفعال، ويرد على ذلك بما رد عليه في السابق.

د- يستشهد أصحابُ هذا الاتجاه كذلك بما حكاه قطرب من صيغة في (نعم) على مثال: شديد وكريم (نعيم)، وهي كالصفة المشبهة، فتكون اسماً، ويرد عليه بأن هذا شذوذاً، ونشأت الياء عن إشباع الحركة، فلا دليلَ فيه.

هـ- جواز دخول لامِ الابتداءِ عليهما، وهي لا تدخل على الفعلِ الماضي إلا إذا كان مقروناً ب (قد). فيقال: إن المهملَ لبئس المواطن.

و- دخول أداة النداءِ عليهما، فقد حكوا: يا نعم المولى، نعم النصير.

ويرد عليه بأن فيه منادى محذوفاً، والتقدير: يا مَنْ هو نعم المولى.

ما يختص بالفعالين (نعم وبئس)

أولاً: غير متصرفين:

نعم وبئس فعالان غير متصرفين، فهما من الأفعالِ الجامدة، ويعلل لعدم تصرفهما بما يأتي^(١):

(١) ينظر: شرح ألفية ابن معطى للموصلى ٢ - ٩٦٧.

أ- لَمَّا وضعاً لإنشاء المدح والذمَّ العامَّين خرجا عن أصلهما إلى شبه الحرف، فنقلا عما وضعاً له من الدلالة على المضى وصارا للإنشاء.

ب- التصرف منافٍ للإنشاء؛ لأنَّ الإنشاء يتلاءم مع بناء الكلمة على شكل واحد، لكن معنى الخبر يتلاءم مع التصرف، ومعنى المدح والذمَّ إنشاء؛ كما ذكرنا في أكثر من موضع؛ لذا ف (نعم وبئس) جامدان غير متصرفين.

فتقول: الأمينُ نِعَمَ مواطنًا، الأمينان نعم مواطنين، الأمانةُ نعم مواطنين. الوفية نعم امرأةً، الوفيتان نعم امرأتين، الوفيات نعم نساءً.

ثانيا: بناؤهما:

في (نعم وبئس) أربع لغات: (١)

١- (نعم وبئس) مثل: علم: (بفتح فكسر).

٢- (نعم وبئس) بكسر فكسر (وتكسر النونُ والباءُ لكسرة العين والهمزة؛ لأنَّ العين والهمزة حلقيان، وهما عينُ الكلمة مكسوران، فتكسر فأوهما إبتاعاً لعيتهما في لغات. وقيل: بفتح ففتح، أى: بفتحهما معاً (٢).

٣- (نعم وبئس) بفتح فسكون، حيث النونُ والباءُ مفتوحتان على الأصل، وتسكن العينُ والهمزةُ للتخفيف.

٤- (نعم وبئس) بكسر فسكون، حيث تسكن العينُ للتخفيف، أو بنقل كسرة العين والهمزة إلى النونِ والباءِ، فتكسر النونُ والباءُ وتسكن العينُ والهمزة. وهذه أكثر اللغات انتشاراً.

ثالثا: جواز إلحاق تاء التأنيث بهما:

يجوز أن تلحق بفعلى المدح والذمَّ تاءُ التأنيث إذا أسندا إلى مؤنث، فتقول: نعمت المرأة التي ترعى حقوقَ الله، وبئست المرأة التي تهملُ تربيةَ أبنائها.

(١) التسهيل ١٢٦ / شفاء العليل ٢ - ٥٨٥. وهى اللغات التى تكون فى كل فعلٍ أو اسمٍ حلقى العين.

(٢) ينظر: المقرب ١ - ٦٦.

مع التنبيه إلى أنه يجوز أن تُسقط تاء التأنيث من الفعلين؛ لأن فاعلهما المؤنثَ الظاهرَ إنما هو اسمُ جنسٍ، والجنسُ مذكرٌ، فتقول: نعمت المرأةُ سعاداً، ونعمَ المرأةُ سعاداً، وبئست المرأةُ المنافقةُ، وبئسَ (المرأة...، فالمرأةُ فاعلٌ نعم وبئس) اسمُ جنسٍ، فتسقط التاء نظراً لمعنى اسم الجنس وهو التذكير، وتثبتها نظراً للفظ وهو المؤنثُ.

فاعلهما:

يكون فاعلُ (نعم وبئس) واحداً من: المعرف بالأداة، والمضاف إلى المعرف بالأداة، والضمير المستتر المميز بالنكرة، و(ما)، وندرس كلاً على حدة.

١- المعرف بالأداة:

قد يكون فاعلُ (نعم وبئس) معرفاً بالألف واللام، كقولك: نعم المسلمُ المتمسكُ بشعب الإيمان، بئسَ المواطنُ الذي يعيش لنفسه.

كلُّ (من المسلم والمواطن) فاعلٌ لنعم وبئس مرفوع، وعلامةُ رفعه الضمة، وهما معرفان بالألف واللام.

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠، الحج: ٧٨] ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

٢- أن يكون مضافاً إلى المعرف بالأداة:

وذلك بأن يكون فاعلُ (نعم وبئس) مضافاً إلى المعرف بالأداة في أى مرتبة من مراتب الإضافة إلى المعرفة، نحو: نعم رئيسُ الحيِّ رئيسُ حينا يجعلُ حيه كبيته، بئسَ موظفُ الحكومةِ جارناً، فهو لا يؤدي عمله بأمانة. كلُّ من (رئيس، وموظف) فاعلٌ لـ (نعم وبئس) مرفوعٌ، وهو مضافٌ إلى معرفٍ بالأداة.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

وقد يكون مضافاً إلى ما أضيف إلى ما فيه أداة التعريف، ومنه قولُ أبي طالب
ابن عبد المطلب:

فنعم ابنُ أختِ القومِ غيرَ مكذِّبٍ زهيرٌ حسامٌ مفردٌ من حمائلٍ^(١)
فاعل (نعم) هو المرفوع (ابن) وهو مضافٌ إلى مضافٍ إلى معرفٍ بالأداة (أخت
القوم).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، ﴿فَلَيْسَ مَثْوَى
الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

مدلول الأداة في فاعل (نعم وبئس):

يختلف النحاة فيما بينهم في مدلول الألف واللام في فاعل فعلى المدح والذم
على النحو الآتي^(٢):

أ- منهم من يرى أن أداة التعريف لاستغراق الجنس، وعلى رأس هؤلاء أبو
على الفارسي، ويكون على سبيل المبالغة والمجاز، فاللام ليست للعهد.
ويفسرون ذلك بأن الفعلين لما وضعوا للمدح العام والذم العام جعل فاعلهما
ليطابق معناه دالاً على الجنس، وهو معنى عام، ثم يدخل المخصوص بالمدح أو
الذم في هذا الجنس.

(١) ينظر: المساعد ٢ - ١٢٥ / شفاء العليل ٢ - ٥٨٦ / العيني على الأشموني والصبان ٢ - ٢٨.
(نعم) فعل ماض مبنى على الفتح. (ابن) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة الفعلية في محل
رفع، خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (أخت) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة.
(القوم) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (غير) حال منصوبة، وعلامة نصبها الفتحة.
(مكذب) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (زهير) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه
الضمة، أو مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف. وهو المخصوص بالمدح. (حسام) خبر لمبتدأ
محذوف مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والتقدير: هو حسام. (مفرد) خبر ثان للمبتدأ المحذوف. وفيهما
رواية النصب على أنهما حال ونعتها. (من حمائل) جار ومجرور، وشبه الجملة متعلقة بمفرد.
تلحظ أن (حمائل) مجرور بالكسرة للضرورة الشعرية، لأن علامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه
ممنوع من الصرف.

(٢) ينظر: الرضى على الكافية ١ - ٣١٢ / شرح ابن يعيش ٧ - ١٣.

ب- ومنهم من يرى أن الأداة ليست لاستغراق الجنس، ويستدل لذلك بأن أداة التعريف عندما تفيد الاستغراق فإنه يصح إضافة ما عرفت به إلى (كل)، كما هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، أى: كل الإنسان، ولا يصح ذلك في القول: نعم الرجل زيد، أى: كل الرجل.

وأصحابُ هذا الرأي لا يقبلون معنى المبالغة والمجاز، حيث لا يقال: أنت الرجل، مقصوداً به: كلُّ الرجل، ولكن تقول: أنت الرجلُ كلُّ الرجل.

لكنه بالتمعن نجد أنه لا يجوز القول: نعم كلُّ الرجل زيد؛ لأنه يفهم منه أن أفراد الرجل متعددة حقيقة، وأنها عينُ زيد، وذلك محال، ولذلك لم يجر القول: أنت كل الرجل.

وكما يجوز أن يقال: أنت الرجلُ كلُّ الرجل، يجوز أن يقال كذلك: نعم الرجلُ كلُّ الرجل زيد، إذ يقصد منه المبالغة.

- تنبيه:

لأن الألف واللام للجنس فإنه يمكن القول: نعم المحمدُ محمدُ رسولُ الله ﷺ. ونعم الإبراهيمُ إبراهيمُ خليلُ الله. ذلك لأن المحمدَ والإبراهيمَ جنسٌ لكلِّ محمدٍ ولكلِّ إبراهيمٍ.

٣- المضمرة المستتر المميز:

قد يكون فاعلُ (نعم وبئس) مضمراً مستتراً مميزاً ومفسراً بنكرة تليه، فالضميرُ الفاعلُ في هذا البابِ ضميرٌ مبهمٌ؛ لذا احتاج إلى ما يفسره وهو التمييزُ النكرة، نحو قول الأخطل:

أبو موسى فجدك نعمٌ جداً وشيخُ الحى خالكُ نعمٌ خالاً^(١)

(١) (أبو) مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه من الأسماء الستة، (موسى) مضاف إليه (أبو) مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة. (فجدك) الفاء عاطفة تعقيبية فصيحة؛ إذ بينت أن أبا موسى الذى هو نعم الجد جدُّه. (جدك) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، وضمير المخاطب مبنى فى محل جر بالإضافة. والتقدير عندى: أبو موسى نعم جداً فهو جدك. (نعم) فعل ماض مبنى على الفتح، =

المخصوصُ بالمدح (أبو موسى) مبتدأٌ مرفوعٌ، وعلامةُ رفعه الواو،
(وموسى) مضافٌ إليه مجرور، وعلامةُ جره الكسرةُ المقدرة.

و(نعم) فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: (هو)،
(جدا) تمييزٌ للضمير المستتر منصوبٌ، وعلامةُ نصبه الفتحة. والجملةُ الفعليةُ (نعم
جدا) في محلِّ رفع، خبر المبتدأ (أبو).

ومنه قول الشاعر في مدح هرم بن سنان:

نعم امرأً هرمٌ لم تعرُّ نائبةً إلا وكان لمرتاحٍ بها وزراً^(١)

حيث استتر الضميرُ المبهمُ الفاعلُ لـ (نعم)، وقد ميز بالنكرة المنصوبة (امرئ)،
أما المخصوصُ بالمدح فهو المرفوعُ (هرم).

ومنه قول الآخر:

لنعم مَوْئلاً المولى إذا حُذِرَتْ بأساءِ ذى البغى واستيلاءِ ذى الإحنِ^(٢)

= وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، والجملةُ الفعليةُ في محلِّ رفع، خبر المبتدأ. (جدا) تمييز منصوب،
وعلامةُ نصبه الفتحة. وفيه أوجهٌ إعرابيةٌ أخرى تبعا لتقدير المنطوق والمحذوف. (وشيوخ) الواو عاطفة
حرف مبني، لا محل له من الإعراب. شيخ: مبتدأٌ مجرور وعلامةُ جره الكسرة. (خالك) بدل أو
عطف بيان من شيخ مرفوع، وعلامةُ رفعه الضمة. (نعم) فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير
مستتر تقديره: هو. والجملةُ الفعليةُ في محلِّ رفع، خبر المبتدأ. (خالاً) تمييز للضمير المستتر منصوب،
وعلامةُ نصبه الفتحة.

(١) شرح شذور الذهب ١٥١/ شرح التصريح ١- ٣٩٢، ٢- ٩٥/ الصبان على الأشموني ٣- ٣٢.
(نعم) فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (امرأً) تمييز للضمير المستتر
منصوب، وعلامةُ نصبه الفتحة. والجملةُ الفعليةُ لا محل لها من الإعراب، أو: في محلِّ رفع، خبر
مقدم. (هرم) المخصوصُ بالمدح، وهو مبتدأٌ خبره محذوف، أو خبر لمبتدأٍ محذوف، أو: مبتدأٌ مؤخر.
(لم) حرف نفي وجزم وقلب مبني، لا محل له من الإعراب. (تعر) فعل مضارع مجزوم، وعلامةُ جزمه
حذف حرف العلة. (نائبةً) فاعل مرفوع، وعلامةُ رفعه الضمة. (إلا) حرف استثناء مبني، لا محل له
من الإعراب. (وكان) الواو: واو الحال أو الابتداء حرف مبني، لا محل له من الإعراب. كان: فعل ماضٍ
ناقص ناسخ مبني، لا محل له من الإعراب. واسم كان ضمير مستتر تقديره: هو. (لمرتاح) جار ومجرور،
وشبه الجملة متعلقة بوزر. (بها) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بمرتاح. (وزراً) خبر كان
منصوب، وعلامةُ نصبه الفتحة، والألف للإطلاق. وجملة كان ومعموليها في محل نصب، حال.

(٢) شرح التسهيل ٣- ٩/ شرح الكافية الشافية ٢- ١١٠٦/ الصبان على الأشموني ٣- ٣٢.
نعم فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (موائلاً) تمييز منصوب، وعلامةُ =

والتقدير: نعم هو موثلاً . . .

ومنه قولُ الشاعر:

نعم امرأينِ حاتمٍ وكعبُ
كلاهما غيثٌ وسيفٌ عَضْبُ^(١)
وفيه فاعلٌ (نعم) ضميرٌ مستترٌ مميّزٌ بالانكسرةِ المثناة (امرأينِ)، أما المخصوصُ فهو
(حاتم وكعب).

وقول الراجز:

تقول عرسى وهى لى فى عومرة
بئس امرأاً وإننى بئس المرة^(٢)

= نصبه الفتحة. والجملة فى محل رفع، خبر مقدم. أو لا محل لها من الإعراب. (المولى) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة. أو مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف. (إذا) ظرف زمان مبنى فى محل نصب متعلق بنعم. (حذرت) فعل ماض مبنى على الفتح، والتاء للتأنيث حرف مبنى، لا محل له من الإعراب. (بأساء) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة الفعلية فى محل جر بالإضافة إليه إذا. (ذى) مضاف إليه بأساء مجرور وعلامة جره الياء. (البغى) مضاف إلى ذى مجرور. (واستيلاء) حرف عطف مبنى، ومعطوف على بأساء مرفوع. (ذى) مضاف إليه استيلاء مجرور بالياء. (الإحن) مضاف إليه ذى مجرور. وعلامة جره الكسرة.

(١) الصبان على الأشمونى ٣- ٣٢ / هامش ضياء السالك ٣- ٩٣.

(نعم) فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (امرأين) تمييز للفاعل المستتر منصوب، وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى. والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (حاتم) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، أو مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف. (وكعب) الواو: حرف عطف مبنى، لا محل له من الإعراب. كعب: معطوف على حاتم مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (كلاهما) مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة. وضمير الغائبين مبنى فى محل جر بالإضافة. (غيث) خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (وسيف) عاطف مبنى ومعطوف على غيث مرفوع. (عضب) نعت لسيف مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

(٢) شرح التسهيل ٣- ١٣ / شرح ابن عقيل ٣- ١٦٢ / الصبان على الأشمونى ٣- ٣٢.

عرس الرجل بكسر فاء الكلمة امرأته/ عومرة: صخب وجلبة، المرة: أى: المرأة، بتخفيف الهمزة (تقول) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (عرسى) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة المناسبة لضمير المتكلم. والياء ضمير مبنى فى محل جر. (وهى) الواو للابتداء أو للحال، حرف مبنى لا محل له من الإعراب. هى: ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ. (لى) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة فى محل نصب حال. (فى عومرة) جار ومجرور وشبه الجملة فى محل رفع، خبر هى، أو متعلقة بخبر محذوف، والجملة الاسمية (هى فى عومرة) فى محل نصب، حال. (بئس) فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (بئس) فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (امرأاً) تمييز للضمير المستتر =

أى: بئس هو امرأً.

خصائص الضمير المستتر فى (نعم وبئس):

أ- الإبهام:

الفاعلُ الضميرُ المستترُ فى جملة المدح والذمِّ ليس راجعاً إلى المبتدأ، أى: ليس عائداً على المخصوص، لكنه ضميرٌ مبهمٌ؛ لذا احتاج إلى ما يفسره ويميزه، فتكون النكرة المنصوبة التى يذكر بعدها، كقولك: نعم مؤمنا الرجلُ الصدوق، وبئس صفة الكذب.

ذلك لأن المضمراً قبل الذكرِ على شريطةِ التفسيرِ فيه شبهٌ من النكرة. و(نعم وبئس) لا يليهما معرفةٌ محضةٌ، بل يليهما اسمٌ جنسٍ، فصارع المضمراً هنا اسمَ الجنسِ بعدهما، فكان فيه إبهامٌ احتاج إلى تفسير.

ب- يلزم الأفراد:

الضميرُ المبهمُ الفاعلُ لـ (نعم وبئس) لا يثنى ولا يجمع -على الأرجح- وذلك لجمودِ الفعلين، وإلحاقُ ما يدل على المثني والجمع بالفعل نوعٌ من التصرف.

كما أن شدة إبهامِ الضميرِ يبعده عن التثنية والجمع؛ لأنهما يخصان بسببِ إفادةِ معانها. وقد استغنوا بتثنية التمييزِ وجمعه عن ذلك.

ج- تمييز الضمير المبهم عدداً:

تمييز الضميرِ المبهمِ الفاعلِ لـ (نعم وبئس) يجوز أن يثنى وأن يجمع وأن يؤنث، ولا يجوز إظهارَ الضميرِ - حينئذٍ - كما ذكرنا فى السمة السابقة، فتقول:

نعم مواطنًا المتقنُ عمله.

= منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (وإننى) الواو حرف عطف مبنى، لا محل له من الإعراب. إن: حرف توكيد ونصب مبنى، لا محل له من الإعراب، والنون للوقاية حرف مبنى، لا محل له من الإعراب. وضمير المتكلم مبنى فى محل نصب، اسم إن. (بئس) فعل ماض مبنى على الفتح. (المرّة) فاعل بئس مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر إن. وجملة إن ومعموليهام معطوفة على سابقتها.

نعم مواطنين المتقنان عملها .
نعم مواطنين المتقنون عملهم .
نعم مواطنةً المتقنةً عملها .
نعم مواطنتين المتقتتان عملهما .
نعم مواطنات المتقنات عملهن .
وتقول :

نعم أباً المربي أولاده على الإخلاص .
نعم أبوين المريان أولادهما على الإخلاص .
نعم آباءً المربون أولادهم على الإخلاص .
نعم أمماً المربيةً أولادها على الإخلاص .
نعم أمين المريتان أولادهما على الإخلاص .
نعم أمهات المريات أولادهن على الإخلاص .
كما تقول :

بئس رجالاً الذين يهملون حقوقَ الجار .
بئس نسوةً اللاتي يتبرجن تبرجَ الجاهليةِ الأولى .
نعم امرأتين اللتان تتزينان بالأخلاقِ الكريمة .
- وقد ذهب الجزولى ومن تبعه إلى وجوب الأفراد .
د- الفصل بين الضمير ومميزه :

لا يفصل بين فاعل (نعم وبئس) الضمير المبهم ومميزه، ذلك لشدة احتياجه إليه .
ويجوز أن يكون الفصل بينهما بشبه الجملة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿بئسَ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، حيث فعلُ الذم (بئس) ماضٍ مبني على الفتح،

وفاعله ضميرٌ مستترٌ تقديره: (هو)، و(بدلاً) تمييزٌ مفسرٌ للفاعل المستترِ المبهم. (للتالين) جارٍ ومجرور، وعلامة جره الياء، وشبه الجملة في محل نصبٍ حال، أو متعلقة بمحذوفٍ حالاً، أو متعلقة بفعلِ الذم. وقد فصلت شبه الجملة بين فاعل (بئس) وتمييزه الذي يفسره (بدلاً). أما المخصوصُ بالذمِّ فهو محذوفٌ، تقديره: (إبليس وذريته).

وما سمع من مثلِ القولِ: نعم زيدٌ رجلاً؛ فهو شاذ حيث الفصلُ بين فاعلِ (نعم) الضميرِ ومميزه (رجلاً) بغيرِ شبه الجملةِ (زيد).

مع ملاحظة أن جوازَ الفصلِ بين الفاعلِ في (حبذا) ومفسره جائز، حيث يقال: حبذا زيدٌ رجلاً.

هـ- الضمير والإتباع:

لا يجوز أن يُتبعَ الضميرُ المبهمُ في (نعم وبئس)، أي: لا يجوز أن يذكرَ بعده نعتٌ، أو توكيدٌ، أو بدلٌ، أو عطفٌ.

و- الجمع بين الفاعل الظاهر والتمييز:

يختلف النحاة فيما بينهم في قضية الجمع بين الفعلِ الظاهرِ لنعم وبئس والتمييز، حيث يذهب سيبويه والسيرافي وجمهورُ النحاة إلى منع الجمع بين الفعلِ الظاهرِ والتمييز في جملتي المدح والذم، فهم يرون أن التمييز لرفع الإبهام عن مميزه المبهم، ولكن الإبهام يزول بظهورِ الفاعل؛ لذا لا يجوز تمييزُ الفاعلِ الظاهر.

- أما المبردُ والفارسي ومن نحا نحوهم فإنهم يذهبون إلى الجمع بينهما لإفادة التوكيد، فليس وجودُ التمييزِ لفاعلِ (نعم أو بئس) الظاهرِ لزوالِ الإبهام، وإنما لإثبات التوكيد.

ويستدلون على ذلك. بقولِ الشاعر:

نعم الفتاة فتاةٌ هندٌ لو بذلت ردَّ التحية نطقاً أو بإيماء^(١)

(١) ارتشاف الضرب ٣ - ٢٢ / شرح التصريح ٢ - ٩٥ / الصبان على الأسموني ٣ - ٣٤.

حيث فاعلٌ (نعم) (الفتاة)، أما (فتاة) النكرة المنصوبة فهي تمييزٌ لفاعلٍ (نعم) الظاهر، والمخصوصُ بالمدح (هند).

ويجعلون منه قولَ جريرٍ في هجاءِ الأخطل:

والتغليبيون بئسَ الفحلُ فحلُّهم فحلاً وأمُّهم زلاءٌ منطيقٌ^(١)

(الفحل) فاعل (بئس) مرفوع، و (فحلهم) مخصص بالمدح مرفوع، (فحلاً) تمييزٌ للفاعلِ الظاهرِ (الفحل). وبعضهم يخرج (فحلاً) على أنها حالٌ مؤكدة لا تمييزٌ^(٢).

أما قولُ جريرٍ وهو يمدح عمرَ بنَ عبد العزيز:

= (نعم) فعل ماضٍ مبني على الفتح. (الفتاة) فاعل مرفوع وعلامة رفع الضمة، والجملة إما لا محل لها من الإعراب، وإما في محل رفع خبر مقدم. (فتاة) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، أو حال منصوبة. (هند) المخصوص بالمدح، فيكون: إما مبتدأ خبره محذوف، وإما خبراً لمبتدأ محذوف، وإما مبتدأ مؤخرًا. (لو) حرف مبني على السكون، لا محل له من الإعراب، إما للتمنى، وإما للشرط فيكون جوابٌ شرطه محذوفًا. (بذلت) فعل ماضٍ مبني على الفتح، والتاء: حرف تأنيث مبني لا محل له من الإعراب. وفاعلُه ضمير مستتر تقديره: هي. (رد) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (التحية) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (نطقًا) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، أو مصدر منصوب واقع موقع الحال، والتقدير: ناطقة، أو منصوب على نزع الخافض، أي: بنطق. (أو بإيماء) حرف عطف، وحرف جر، ومجرور بالكسرة، وشبه الجملة معطوفة على نطق.

(١) شرح ابن الناظم ٤٧٠/ شرح ابن عقيل ٣ - ١٦٤/ شرح التصريح ٢ - ٩٦/ الصبان شرح الأشموني ٣ - ٣٤/ الزلاء: اللاصقة العجز الخفيفة الإلية/ المنطيق: يعنى بها - هنا - المرأة التي تتأزر بحشية تعظم عجزتها.

(والتغليبيون) الواو بحسب ما قبلها. التغليبيون: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم. (بئس) فعل ماضٍ مبني على الفتح. (الفحل) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة الفعلية في محل رفع، خبر مقدم. (فحلهم) مبتدأ مؤخر مرفوع، وضمير الغائبين مبني في محل جر بالإضافة، وجملة الذم في محل رفع، خبر المبتدأ (التغليبيون). (فحلاً) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (وأمهم) الواو حرف عطف مبني، أو حرف استئناف مبني، لا محل له من الإعراب. أم: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وضمير الغائبين مبني في محل جر بالإضافة. (زلاء) خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (منطيق) خبر ثانٍ لأم مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

(٢) ينظر: المقرب ١ - ٦٨.

تزوّدٌ مثلُ زادٍ أبيضِ فسينا فنِعْمَ الزادُ زادٌ أبيضٌ زاداً^(١)

ففيه الاسمُ المعروفُ بالأداةِ المرفوعُ (الزاد) فاعلٌ (نعم)، أما المخصوصُ المرفوعُ فهو (زادٌ أبيض)، ولكن المنصوبُ (زاداً) يخرجُ على أنه معمولٌ لتزوّد.

- يذهب آخرون إلى جوازِ الجمعِ بين فاعلٍ فعلى التعجبِ الظاهرِ والتمييزِ؛ إن أفاد التمييزُ معنى زائداً على الفاعلِ الظاهرِ، وصححه ابنُ عصفور، ويجعلون من ذلك قولَ أبي بكر بن الأسود المعروفِ بابن شعوب:

تخيّرهُ فلم يَعِدِلْ سِوَاهُ فنعم المرءُ من رجلٍ تهامى^(٢)

(١) ينظر: المقتضب ٢ - ١٥٠ / المرتجل ١٦٩ / شرح ابن يعيش ٧ - ١٣٢ / المقرب ١ - ٦٩ / شرح ألفية ابن معطى ٢ - ٩٧٠ / شرح ابن عقيل ٢ - ١٣٢ / الخزانة ٤ - ١٠٨ / ديوانه ١٣٥ .
(تزوّد) فعل أمر مبني على السكون، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت. (مثل) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. أو حال من زاد الأخيرة منصوبة، حيث التقدير: تزود زاداً مثل، فلما تقدم النعت على المنعوت النكرة أصبح حالا. (زاد) مضاف إليه مجرور. (أبيض) مضاف إلى إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه من الأسماء الستة. وضمير المخاطب مبني في محل جر بالإضافة. (فيها) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بالتزود. (فنعم الزاد) الفاء للتعليل، وفعل ماضٍ وفاعله، والجملة خبر مقدم. (زادا) تعرب تمييزاً منصوباً، أو مفعولاً لتزود.

وإليك تفصيل القول في إعراب (زادا)، حيث يمكن أن يكون فيه الأوجه الآتية:
- (زاداً) تعرب عند المبرد وأبي على تمييزاً للتأكيد بعد الفاعل الظاهر، ويمتعه الآخرون.
- لكن الجمهور يذهب في إعرابها إلى أنها مفعولٌ به لـ (تزوّد)، والتقدير: تزود زاداً مثلُ زادٍ
وعليه فإن (مثل) تكون منصوبةً على الحالية من (زاداً)، ذلك لأنها صفةٌ لها، فلما تقدمت الصفة على موصوفها النكرة أصبحت حالاً.
- يجوز أن يكون (زاداً) مصدرًا مؤكّداً من الفعل (تزوّد)، ولكن زوائده قد حذفت، فالمراد: تزود تزوداً، وهذا ما يذهب إليه الفراء.
- ويجوز أن توجه إعرابه على أنه منصوبٌ على تمييزِ المثلية (مثل زاد أبيض زاداً)، والعامل فيه نعم، فيكون كقولك: لى مثله كتاباً.

(٢) شرح ابن يعيش ٧ - ١٣٣ / المقرب ١ - ٦٩ / الهمع ٢ - ٨٦ / الصبان على الأشموني ٣ - ٣٥ .
(تخييره) فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وضمير الغائب المتصل مبني في محل نصب، مفعول به (فلم) حرف عطف، وحرف نفى وجزم وقلب مبنيان، لا محل لهما من الإعراب. (يعدل) فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: هو. (سواه) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها التعذر. وضمير الغائب مبني في محل جر بالإضافة. (فنعم) الفاء حرف تعقيبي عاطف مبني، لا محل له من الإعراب. نعم: فعل ماضٍ مبني على الفتح. (المرء) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (من) حرف جر زائد مبني، =

حيث (المرء) فاعلٌ (نعم)، وهو ظاهرٌ، و(رجل) تمييزه المجرورُ بـ (من)، وهو موصوفٌ بتهامى، فأفاد معنىً زائداً عن معنى الفاعل، وهو المعنى الكامنُ فى الصفة.

٤ - أن يكونَ (ما):

قد يذكر (ما) بعد (نعم وبئس) مباشرةً، كقولك: نعم ما فعلته اليوم حضورك المحاضرة، وللنحاةِ فى (ما) هذه آراءٌ مختلفة، تعكس مدى خلافهم فيها، نوجزُها فيما يأتى:

أ- لا محل لها من الإعراب:

حيث ذهب الفراءُ إلى أن (ما) مع فعلى المدح والذم شىءٌ واحدٌ، رُكِّبَ تركيب (حبذا) أو (كلما)، وظاهرٌ ذلك أن (ما) فى هذا التركيب لا محلَّ لها من الإعراب.

أو أنها كافةٌ لنعم وبئس، حيث هيأتها للدخولِ على الجمل، كما تفسر فى: طالما، وقلَّما، وكثيرما....

- ذهب جمهورُ النحاةِ إلى أن لها محلًّا من الإعراب، لكنهم اختلفوا فيما بينهم بين محلِّى الرفع والنصب، على النحو الآتى:

ب- تكون فى محل نصب تمييزاً:

ذهب الأخفش والفارسي واختاره الزمخشري إلى أن (ما) فى محلِّ نصبٍ على التمييز لفاعل (نعم أو بئس) المضميرِ المستترِ، أما الجملةُ التى تلى (ما) فهى:

- إما فى محلِّ نصبٍ، صفة لتمييز (ما)، والتقدير: نعم هو شيئاً الذى فعلته....

= لا محل له من الإعراب. (رجل) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. (تهامى) نعت لرجل مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة.

- وإما أن تكونَ في محلِّ رفعٍ، نعتٍ لمخصوصٍ محذوفٍ، يقدرُ بـ(شئٍ)، ويكونُ تقديرُ الكلامِ: نعم شيئاً شئٌ فعلته اليوم.

- وإما أن تكونَ لا محلَّ لها من الإعرابِ؛ على أنها صلةٌ لـ (ما) أخرى مقدرةٌ بعد (ما) المميّزة، وتكون (ما) المقدرةُ اسمًا موصولاً مخصوصاً بالمدح، والتقدير: نعم شيئاً الذي فعلته . . .

ج- تكون اسما موصولا:

ذهب بعضُ النحاة -وعلى رأسهم الفراءُ والكسائي- إلى أن (ما) في هذا التركيب اسمٌ موصولٌ بمعنى الذي، وهو فاعلٌ فعلي المدح والذم، والجملة التي تليها صلتهُا، والتقدير: نعم الذي فعلته اليوم. . . وينسب هذا الرأي إلى سيبويه والفارسي أيضاً، وهذا الرأي هو الأكثرُ شيوعاً، وأرجحُ قبولاً.

د- تكون مصدريةً:

يذهب بعضُ النحاة إلى أن (ما) بعد (نعم وبئس) مصدرية، وتكون مع الجملة التي تليها مصدرًا مؤولاً فاعلاً للمدح أو الذمّ، والتقدير: نعم فعلك اليوم. . .

هـ- تكون معرفةً تامةً:

يذهب سيبويه إلى أن (ما) بعد فعلي المدح والذم معرفةٌ تامةٌ بمعنى (شئٍ)، وهى الفاعل، والتقدير: نعم الشئُ شئٌ فعلته اليوم، وعليه فإن المخصوصَ بالمدح يكون محذوفاً.

- يذهب أبو علي والمبردُ ويرجحهُ كثيرٌ من النحاة منهم ابنُ الحاجب والرضي إلى أنه يجوز أن يكونَ فاعلهُما اسمًا موصولاً (الذي، أو: من، أو: ما) دالاً على الجنس، أى، تكون صلتهُا عامةً لا مخصوصةً. ويستدلون على ذلك بقول الشاعر:

فنعم مرزء من ضاقتُ مذاهبه ونعم من هو في سرٍّ وإعلان^(١)

(١) المساعد ٢ - ١٣١ / مرزء: مصدر ميمي، ورجل مرزء أى كريم يصيب الناس خيره، ويروى: فنعم مزكاً، وهو مفعول من زكأت إلى فلان، أى: لجأت إليه.

حيث فاعلٌ (نعم) في الشطر الثاني هو الاسمُ الموصولُ (من).
وعلى رأى هؤلاء يمكن القول: نعم الذى هو صالحُ المؤمن . ومنه : ولنعم دارُ
مَنْ لم يَرْضَ بها داراً .

ملحوظتان:

أ- هل يؤكد فاعلُ المدح والذم؟

قد يؤكدُ فاعلُ (نعم وبئس) المعرفة بالأداة أو المضافُ إلى ما فيه الأداة توكيداً
لفظياً، وذلك بتكريره، فتقول: نعم الرجلُ الرجلُ محمدٌ وبئسَ المواطنُ المواطنُ
الخبثُ.

لكنه لا يؤكدُ توكيداً معنوياً، وهو اتفاقٌ^(١)؛ لأن التوكيدَ المعنوى يكون
للمعارفِ - عند البصريين - وفاعلُهُما فى معنى النكرة .

أما إذا كان الفاعلُ ضميراً مستتراً أو (ما) فإنه لا يؤكد .

ب - وصف فاعلِ المدح والذم:

يجوز أن يوصفَ فاعلُ (نعم وبئس) المعرفة بالأداة، أو المضافُ إلى ما فيه
الأداة، أو إذا كان (ما) -خلافًا لابن السراج- ويخرجون عليه قوله تعالى:
﴿بئسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]. ويوجه المعارضون (المرفود) على أنه
المخصوص .

كما يجعلون منه قولَ زهير بن أبى سلمى:

نعمَ الفتى المُرَّى أنت إذا هم شَبُّوا لدى الحجراتِ نارَ الموقدِ^(٢)

حيث يعربون (المرى) على أنه نعتٌ لفاعلِ (نعم)، وهو (الفتى). ولكن
المعارضين يوجهونه على أنه بدلٌ .

(١) ينظر: شفاء العليل ٢ - ٥٨٧ .

(٢) ينظر: ديوانه ٢٧٥ / الأصول ١ - ١٤٢ / التبصرة والتذكرة ١ - ٢٧٨ / مغنى اللبيب ٢ - ٥٨٧ /
المساعد ٢ - ١٢٨ / الخزانة ٤ - ١١٢ / الأشموني ٣ - ٨٥ . المرى: نسبة إلى مرة، الحجرات: البيوت
التي ينزل فيها الضيوف .

لكن جواز نعتِ فاعلِ (نعم وبئس) لا يسرى عليه إذا كان ضميراً، حيث لا يجوز نعتُ الضمير.

شروط المخصوص:

ذكرنا أن أسلوبَ المدح أو الذمِّ إنما هو معنى مدحٍ أو ذمٍّ لمخصوصٍ بأىٍّ منهما، ففيه مبالغةٌ في المعنى؛ لذلك فإن المخصوصَ بالمدح أو الذمِّ يجب أن يتوافر فيه شروطٌ؛ كى تصحَّ العلاقةُ بينه وبين معنى المدح أو الذم من جانبٍ، والمخصوصِ من الجانبِ الآخر. وهى:

١- أن يطابق المخصوصُ الفاعلُ:

يجب أن يطابقَ المخصوصُ فاعلَ (نعم وبئس)، ويعنى بالمطابقة هنا صحةُ إطلاقِ الفاعلِ على المخصوصِ معنوياً، أو العكس، أى: يكون من جنسِ فاعله، حيثُ التعلقُ المعنويُّ بينهما.

فإذا قلت: نعم المواطنُ محمدٌ؛ فإن المواطنَ هو محمدٌ، كما أن محمداً من جنسِ المواطنين.

لذلك فإن المخصوصَ يصلحُ للإخبارِ به عن الفاعلِ، حيث يجوزُ القولُ: المواطنُ محمدٌ، ويكونُ الفاعلُ (المواطن) مبتدأً، خبره المخصوصُ (محمد).

فإن باين المخصوصُ الفاعلَ كما فى قوله تعالى: ﴿بئسَ مثلُ القومِ الذينَ كذبوا بآياتِ الله﴾ [الجمعة: ٥] (١)؛ فإنه يتأولُ على وجهين:

(١) فيه الأوجهُ الإعرابيةُ الآتية:

- أن يكونَ (مثل) فاعلَ (بئس) مرفوعاً، وعلامةُ رفعه الضمة، ولم ينونْ للإضافة. والاسمُ الموصولُ (الذين) مضافٌ إلى المخصوصِ الحقيقيِّ المحذوفِ، فأقيمَ المضافُ إليه مقامَ المضافِ، فأصبحَ مبنياً فى محلِّ رفعٍ على أنه المخصوصُ، والتقدير: بئسَ مثلُ القومِ مثلُ الذين...

- أن يكونَ فاعلُ (بئس) ضميراً مستتراً مميزاً بنكرةٍ محذوفةٍ، والتقدير: بئسَ مثلاً مثلُ القومِ الذين...

- أو أن يكونَ (مثل) فاعلَ (بئس)، أما المخصوصُ فهو محذوفٌ، ويكون (القوم) مضافاً إليه (مثل)، والاسمُ الموصولُ فى محلِّ جرٍّ، نعتٌ للقوم، والتقدير: بئسَ مثلُ القومِ الذين كذبوا مثلهم...

تلحظ أنه قدرَ المخصوصُ إذا كان محذوفاً (مثل)؛ كى يكونَ من جنسِ الفاعلِ المذكورِ، ومطابقاً له.

أولهما: أن يكون الاسمُ الموصولُ صفةً لـ (القوم)، ويكون المخصوصُ محذوفًا،
والتقديرُ: بئس مثل الذين القوم كذبوا مثل هؤلاء . . .

والآخر: احتساب المخصوصِ مضافًا إلى (الذين)، فلما حذف المضافُ قام
المضافُ إليه مقامه، والتقدير: بئس مثل القوم مثل الذين . . .

٢- أن يكون المخصوصُ مختصًا:

من سماتِ المخصوصِ بالمدحِ أو الذمِّ أن يكونَ مختصًا، ذلك لأنه يذكر بعد
فاعلِهما، وفاعلُهما مبهمٌ، فكأنه يكون للتخصيصِ بعد الإبهامِ الكامنِ في
الفاعلِ .

فالعلان (نعم وبئس) لمعنى المدحِ والذمِّ العامَّين؛ لذلك فإن فاعلِهما يتضمن
معنى المدحِ والذمِّ على سبيلِ الإجمالِ، والإجمالُ كامنٌ فى معنى الجنسِ الذى
يمثلانه، والمخصوصُ جزءٌ من فاعلِهما، أو: فردٌ من جنسه، فكأنك أجملت
المدوحين أو المذمومين، ثم يذكر المخصوصُ بعد ذلك على سبيلِ التفصيلِ
والتخصيصِ .

لذلك فإن اسمَ المدوحِ أو المذمومِ يجب أن يكونَ أخصَّ من الفاعلِ، ولا
يكونَ أعمَّ ولا مساويًا .

ملحوظة:

فاعل (نعم وبئس) والتمييز والمخصوص شىءٌ واحدٌ:

لو أمعنا حقيقةَ العلاقةِ المعنويةِ بين فاعلى (نعم وبئس) ومفسره المميزِ له
والمخصوصِ فيما سبق لوجدنا أن مفسرَ الفاعلِ ومميزَه إنما هو هو؛ لأن المفسرَ
(بكسرِ العين) والمفسرَ (بفتحِ العين) إنما هما واحدٌ، وإلا لما كان هناك تفسيرٌ
حقيقى، كما أن المخصوصَ جزءٌ من فاعلِ (نعم وبئس)؛ لأن المخصوصَ خاص،
والفاعلُ عامٌ، ولا بدَّ أن يصدقَ العامُ على الخاصِ، وينسلخَ الخاصُ من العامِ، ومن
هنا تبدو العلاقةُ المعنويةُ بين فاعلِ (نعم وبئس) ومميزه والمخصوصِ، فلا بدَّ أن
يكونَ الثلاثةُ شيئًا واحدًا .

ولتلحظ معى القول: نعم مواطنًا محمدًا، فاعلٌ (نعم) ضميرٌ مستترٌ تقديره: هو. ويعنى: الشىء، أو قل: الرجل، فتجد أن: الرجل، ومواطنًا، ومحمدًا شىءً واحدًا، وكلُّ منها يصدق على الآخرىن.

لكننا لا ننسى أن مدلولَ الفاعلِ أعمُّ من مدلولِ المخصوص، حيثُ يكونُ المخصوصُ جزءًا من أجزاءِ مدلولِ الفاعلِ؛ لأنه يدلُّ على جنسِ المخصوص، والجنسُ أعمُّ من الخاص أو المختص، ويتضمَّنُه.

حذف المخصوص:

قد يحذف المخصوصُ فى موضعين:

أولهما: إذا تقدم فى الكلام ما يدلُّ على المخصوص بالمدح أو الذم فإن المخصوصَ يجوزُ حذفُه للعلم به، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] (١). حيث المخصوصُ بالمدح تقديره: هو، ويعود على أيوبَ عليه السلامُ المذكورِ فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَرَّمْنَا أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨] (٢)، أى: فنعمة الماهدون نحن.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، أى: نحن. ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]. أى: الجنة. ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، أى: عقباهم.

والآخر: أن يخلفَ المخصوصَ صفته: سواءً أكانت اسمًا، كقولك: نعم

(١) (إننا) إن: حرف توكيد ونصب ناسخ مبنى، لا محل له من الإعراب، وضمير المتكلمين (نا) مبنى فى محل نصب، اسم إن. (وجدناه) فعل ماضى، وفاعله ضمير المتكلمين مبنى، وهاء الغائب ضمير مبنى فى محل نصب، مفعول به أول (صابرا) مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر إن. (نعم العبد) فعل وفاعل. والجملة إما خبر مقدم، وإما لا محل لها من الإعراب. والمخصوص محذوف. (إنه) حرف توكيد ونصب، واسمه ضمير الغائب مبنى فى محل نصب. (أواب) خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة استئنافية، أو تذييلية.

(٢) (الأرض) مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور، منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

الصديقُ حليمٌ كريمٌ، أى: صديقٌ حليمٌ كريمٌ، فحذف المخصوصُ المحذوفُ، وأقيم مقامه صفته .

وقولك: بشس الصاحبُ عدولٌ خذولٌ، أى: صاحبٌ عدولٌ خذولٌ.

أم كانت الصفةُ جملةً فعليةً .

ومنه قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]. حيث يكون المخصوصُ فى أحد أوجه التحليل الإعرابى لهذا التركيب محذوفًا تقديره: (شئ)، وتكون الجملةُ الفعليةُ (اشتروا) فى محلِّ رفع، نعت للمخصوصِ المحذوف .

ومنه قول الأخطل:

إلى خالد حتى أنخنَ بخالد فعنمَ الفتى يرَجى ونعمَ المؤملُ^(١)
أى: فعنمَ الفتى فتىً يرَجى . . . فحذف المخصوصَ (فتى)، وأقام مقامه صفته
الجملةُ الفعليةُ (يرجى).

ومنه أن تقول: نعم الصاحبُ تستعين به، فيعينك، أى: صاحبٌ تستعين به . . .

دخول الناسخ على المخصوص:

قد يُسبقُ المخصوصُ بناسخ، سواءً أكان فعلًا ينصب معمولًا واحدًا، أم معمولين، أم حرفًا، لكن رتبة المخصوص لفظًا تختلف بين الأفعال والحروف على النحو الآتى:

- إذا كان الناسخُ فعلًا ينصب معمولًا واحدًا (كان، وكاد)، أو ينصب معمولين (ظن) فإنه يدخل على المخصوص مطلقًا، تقدم على جملة المدح والذم، أم تأخر عنهما .

فتقول: كان محمدٌ نعم الصاحبُ . حيث سبق المخصوصُ (محمد) بالفعلِ الناسخ (كان)، وأصبح اسمه، وجملة المدح تكونُ فى محل نصب، خبره .

وتقول: ظننت محمدًا نعم الأخ . فيكون المخصوص (محمدًا) مفعولًا به أولَ لـ(ظن)، والمفعولُ الثانى جملةً المدح (نعم الأخ) فى محل نصب .

(١) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ - ١٣٦ .

كما تقول: نعم الأخُ كان محمدٌ، وبئسَ المواطنُ ظننتُ الخائنَ.

فتؤخر المخصوصَ المسبوقَ بالفعلِ الناسخَ عن جملتي المدح والذم.

ومثله: صار محمدٌ نعمَ المواطنِ، حيث (محمد) اسمٌ (صار) مرفوعٌ وعلامةٌ

رفعه الضمةُ، وجملةٌ (نعم المواطن) في محلِّ نصب، خبر (صار).

وتقول: نعم المواطن صار محمدٌ.

ومنه قولُ يزيد بن الطثرية:

إذا أرسلوني عند تعذيرِ حاجةٍ أمارسُ فيها كنتُ نعمَ الممارسِ^(١)

تاء المتكلم ضمير مبني في محل رفع، اسم (كان)، وخبرها الجملة الفعلية (نعم

الممارس) في محل نصب.

وقول زهير بن أبي سلمى:

يميناَ لنعمَ السيدانِ وجدتماَ على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومبرمٍ^(٢)

(١) ديوانه ٤٥ / شفاء العليل ٢ - ٥٩٠ / الأشموني ٣ - ٣٨ / الهمع ٢ - ٨٧.

(إذا) اسم شرط غير جازم مبني، في محل نصب على الظرفية مضاف. (أرسلوني) فعل الشرط ماض مبني على الضم، وواو الجماعة ضمير مبني في محل رفع، فاعل. والنون حرف وقاية مبني، لا محل له من الإعراب، وضمير المتكلم مبني في محل نصب، مفعول به. والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة. (عند) ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، متعلق بالإرسال. (تعذير) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (حاجة) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (أمارس) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وفاعله مستتر تقديره: أنا. (فيها) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بالممارسة. والجملة الفعلية في محل نصب، حال من ضمير المتكلم، أو في محل جر، نعت لحاجة. (كنت) فعل الشرط ماض ناقص ناسخ مبني على السكون، وضمير المتكلم مبني في محل رفع، اسم كان. (نعم الممارس) فعل ماض وفاعله مرفوع، والجملة في محل نصب، خبر كان.

(٢) السحيل: الخيط المفرد، المبرم: الخيط المفتول.

(يميناَ) منصوب على النيابة عن المفعول المطلق لفعلٍ محذوف. (لنعم) اللام واقعة في جواب القسم حرف مبني، لا محل له من الإعراب. نعم: فعل ماض مبني على الفتح. (السيدان) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى. والجملة الفعلية في محل نصب المفعول الثاني لوجد. (وجدتما) فعل ماض مبني على السكون، مبني للمجهول، وضمير المخاطبين مبني في محل رفع، نائب فاعل. (على كل حال) جار ومجرور، ومضاف إليه، وشبه الجملة في محل نصب، حال، أو متعلقة بـ (وجد). (من سحيل) جار ومجرور، وشبه الجملة في محل جر، نعت لسحيل، (ومبرم) عاطف ومعطوف على سحيل.

وأصله: نعم السيدان أنتما، فلما دخل على المخصوص (أنتما) الفعلُ الناسخُ (وجد) أصبح: وجدتما.

- إذا كان الناسخُ حرفاً فإنه لا يدخلُ على المخصوصِ إلا إذا تقدمَ المخصوصُ على المدح والذم، فتقول: إن محمداً نعم المواطن، علمت أن علياً نعم الصدوقُ. حيث المخصوصُ (محمداً وعلياً) اسما (إن وأن) منصوبان، وخبرهما جملتنا المدح: (نعم المواطن، ونعم الصدوق).

ومنه قول أبي دهبيل الجمحي:

إن ابنَ عَبْدِ اللهِ نَعْمَ مَ أَخُو الندى وابنُ العشيْرة^(١)
المخصوصُ بالمدح (ابن) اسمٌ (إن) منصوب.

التركيب التي يأتيان عليها إعرابيا:

تنبيهات تُرشدُ إلى إعرابِ مفرداتِ التركيبي التي يأتي فيها (نعم وبئس):

- إذا كان معمولُهما معرفةً فإنه يرفعُ، أي: إذا كان معرفةً بالأداة، أو مضافاً إلى المعرفة بالأداة، أو: (ما).

- إذا كان معمولُهما نكرةً فإنه ينصب. أي: الاسم النكرة الذي يكون ظاهراً بعدهما، وهو المميز للضميرِ الفاعلِ الواجب الاستتار.

- قد يمثل تركيبُهما جملةً فعليةً، وقد يمثل جملةً اسميةً، فيكون الإعرابُ على هذا التقدير.

(١) ديوانه ٩٦ / الهمع ٢ - ٨٧ / الأشباه والنظائر ٤ - ٢٠٥ / الخزانة ٩ - ٣٨٨.

(إن) حرف توكيد ونصب مبني، لا محل له من الإعراب. (ابن) اسم إن منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (عبد) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (الله) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (نعم) فعل ماض مبني على الفتح. (أخو) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه من الأسماء الستة. (الندی) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة، منع من ظهورها التعذر. (وابن) حرف عطف مبني ومعطوف على أخ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (العشيْرة) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة.

- قد يمثل المخصوصُ جملةً اسميةً مستقلةً، محذوفةً المبتدئِ أو الخبرِ. وقد يكون ركنًا من جملةٍ اسميةٍ يكملها جملةٌ المدحِ أو الذمِ.

وبعدئذٍ؛ فإن (نعم وبئس) يأتيان في اللغةِ في أحدِ تركيبين، مع استثناءٍ ما يمكن أن يكونَ عليه التركيبُ من حذفٍ للمخصوصِ، وهما:

الأول: المخصوصُ مذكورٌ بعدَ جملةِ المدحِ والذمِ:

يبدأ هذا التركيبُ بجملةِ المدحِ أو الذمِ (فعل وفاعل في إحدى صورهِ السابقة)، ثم يذكر المخصوصُ مرفوعاً.

مثال ذلك: نعم الرجلُ المواطنُ الأمين.

نعم صفةُ المواطنِ الأمانةُ.

نعم رجلاً المواطنُ الأمين.

نعم ما يتصف به الرجلُ الأمانةُ.

وفى هذا التركيبِ يتوجه النحاةُ إزاء الإعرابِ إلى ما يأتي:

١- يذهب سيبويه ويتبعه ابنُ خروف وابنُ الباذش إلى أن جملةَ المدحِ أو الذمِّ خبرٌ مقدمٌ، والمخصوصُ مبتدأٌ مؤخرٌ.

٢- أما جمهورُ النحاةِ فإنهم يذهبون إلى جوازِ الرأيِ السابقِ، مع جوازِ أن يكونَ المخصوصُ خبراً لمبتدئٍ واجبِ الحذفِ، والتقدير: نعم الرجلُ الممدوحُ المواطنُ الأمين، أو: هو المواطنُ الأمينُ. وعلى ذلك فإن جملةَ المدحِ أو الذمِّ فعليةٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ.

٣- ومنهم من يذهب إلى تعيينِ الرأيِ الثانى وحده، أى: يكون المخصوصُ خبراً لمبتدئٍ واجبِ الحذفِ، وتكون جملةُ المدحِ أو الذمِ لا محلَّ لها من الإعرابِ.

٤- يذهب ابنُ عصفور إلى كونِ المخصوصِ مبتدأً حُذِفَ خبرُهُ، وتكون جملةُ المدحِ أو الذمِّ لا محلَّ لها من الإعرابِ. والتقدير: نعم الرجلُ المواطنُ الأمينُ الممدوحُ.

والآراء السابقة هي الأكثر شهرةً وشيوعاً في إعراب أسلوب المدح أو الذم .
وعليها فإن إعراب القول : (نعم الخلقُ الصدقُ) يكون كالآتي :

(نعم) فعل ماضٍ مبني على الفتح .

(الخلق) فاعلٌ مرفوعٌ، وعلامةُ رفعه الضمة .

والجملة الفعلية إما : لا محلٌّ لها من الإعراب ، وإما في محلِّ رفعٍ ، خبر مقدم .

(الصدق) إما : خبر مرفوعٌ، وعلامةُ رفعه الضمةُ لمبتدأٍ محذوفٍ ، والتقدير . هو

الصدق ، أو الممدوح الصدق .

وإما : مبتدأٌ خبره محذوفٍ ، والتقدير : الصدق الممدوح .

هذان الوجهان على أن الجملة الفعلية لا محلٌّ لها من الإعراب .

وإما : مبتدأٌ مؤخر مرفوعٌ ، وخبره المقدم الجملة الفعلية .

٥ - ومن النحاة -ابن كيسان- مَنْ يذهب إلى أن المخصوصَ بدلٌ من فاعلٍ

(نعم وبئس) .

وعليه فإن (الصدق) يكون بدلاً من (الخلق) مرفوعاً .

٦ - من النحاة - ابن العليج - من يذهب إلى أن (نعم) اسمٌ تقديره : (الممدوحُ) ،

والمخصوصُ عطفٌ بيانٍ أو بدلٌ من المرفوع بعد (نعم) ، فكأنك قلت : الممدوحُ

الخلقُ الصدقُ . ويكون (الصدق) بدلاً أو عطفَ بيانٍ للخلق .

الثاني : المخصوصُ مذكورٌ قبلَ جملةِ المدحِ أو الذم :

قد يتصدرُ المخصوصُ أسلوبَ المدحِ أو الذمِّ ، فيذكرُ أولاً ثم يذكرُ بعده جملةً

المدحِ أو الذمِّ ، وهذا التركيبُ قليلٌ في الاستعمالِ ، فيقال ؛ المؤدَّى واجبُه نعم

المواطنُ .

وليس لهذا التركيبُ إلا وجهٌ إعرابيٌّ واحدٌ ، وهو إعرابه إعرابَ جملةٍ اسميةٍ ،

حيثُ يكونُ المخصوصُ مبتدأً مرفوعاً ، خبره الجملةُ الفعليةُ (جملةُ المدحِ أو الذمِّ) ،

وتكون في محل رفع، ويستغنى عن الرابط الذي يربط جملة الخبر بالمتبدا؛ لأن في الخبر الجملة اسماً أعم من المتبدا وهو الفاعل، ففاعلُ فعلى المدح والذم أعم من المخصوص.

ملحوظات:

أولاً: أسلوب المدح أو الذم جملة اعتراضية:

يجوز أن يقع أسلوب المدح أو الذم جملةً اعتراضيةً بين العامل ومعموله. فيقال: أكرمتُ - ونعم الرجل هو - محمداً. حيث (أكرم) فعل ماضٍ مبنى على الفتح، وتاء المتكلم ضمير مبنى في محل رفع، فاعل له. (محمداً) مفعولٌ به لأكرم منصوبٌ، وعلامةُ نصبه الفتحة. أما أسلوب المدح (نعم الرجل هو) فيعرب تفصيلاً بأحد أوجه الإعراب المذكورة سابقاً، ثم يذكر: وأسلوب المدح اعتراضى للمدح لا محل له من الإعراب.

ومنه أن تقول: اجتنبتُ - فبئس الصديق هو - سميراً. حيث جملةُ الذم اعتراضيةٌ لا محل لها من الإعراب.

ثانياً: الرابط بين المخصوص وجملة المدح أو الذم:

لَمَّا كان المخصوصُ يعربُ في أحد الأوجه مبتدأً خبره الجملةُ الفعليةُ الخاصة بالمدح أو الذم احتاج إلى رابطٍ يربطه بجملة الخبر، وهذا الرابط هو شمولُ الخبر على اسمٍ أعم من المتبدا، فالمخصوصُ يدخلُ في جنسِ فاعلٍ (نعم وبئس)، وفاعلُهُما فيه معنى الجنس، فهو بمثابة الاسم العام، والمخصوصُ هو الخاصُّ.

ثالثاً: لا يفصلُ بين الفعلين والمرفوع:

لا يجوز الفصلُ بين الفعلين (نعم وبئس) ومرفوعيهما، سواء أكان بشبه جملة أم بغير ذلك.

من تراكييب (ما):

قد تأتي (ما) بعد أحدِ فعلى المدح والذم في عدة صور، منها:

أ - أن تذكر (ما) بعد الفعلِ دون ذكرِ لفظِ بعدها:

من ذلك القولُ: دَقَّقْتَهُ دَقًّا نَعِمًا. فيكون التقديرُ أحدَ أمرين:

- إما أن يكون التقديرُ: نعم الشيءُ الدقُّ، فتكون (ما) معرفةً تامةً في محلِّ رفع، فاعل (نعم)، وهو ما عبر عنه بالشيء. أما المخصوصُ فإنه يكون محذوفًا، وهو ما قدَّر بـ (الدق).

- وإما أن يكونَ التقديرُ: نعم شيئًا الدقُّ، فيكون فاعلُ (نعم) ضميرًا مستترًا مميِّزًا بنكرة، وتكون (ما) نكرةً تميِّزًا للفاعل المستتر في محلِّ نصب. والمخصوصُ محذوفٌ تقديره: الدق. وهذا ما يذهب إليه الزمخشري ومن تبعه.

ب - أن تذكرَ (ما) بعد الفعلِ، وتُتلى بمفرد:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]. توجه (ما)

في مثل هذا التركيبِ على ما يأتي:

- أن تجعلَ التقديرَ: فنعَم الشيءِ هي. وعليه فإن (ما) تكون معرفةً تامةً في محلِّ رفع، فاعل (نعم)، ويكون الضميرُ (هي) مخصوصًا بالمدح، وفيه الأوجهُ الإعرابيةُ الثلاثة.

- أن تجعلَ التقديرَ: فنعَم شيئًا هي، أي: نعم الشيءُ شيئًا هي، فتكون (ما) نكرةً تامةً تميِّزًا لفاعلِ (نعم) المستترِ الذي يقدرُ بـ (هو)، أي: الشيء الذي يعود على الصدقات. ويكون الضميرُ (هي) مخصوصًا بالمدح.

ويجوز أن يكونَ التقديرُ: فنعَم الذي هو هي إبدأؤها، فتكون (ما) اسمًا موصولًا، صلته الجملة الاسمية محذوفة المبتدأ، وخبرها هي، أما المخصوصُ فهو محذوف.

- أن تكونَ (ما) مركبةً مع الفعلِ (نعم) تركيبَ (ذا) مع (حَبَّ)، وهذا ما يذهب إليه الفراءُ ومن تبعه، حيثُ لا موضع لها من الإعراب، ويكون (هي) فاعلَ (نعم). وهو أردأُ الأقوالِ.

ومنه قولهم: بئسما تزويجٌ ولا مهرٌ.

ج - أن تذكرَ (ما) بعد الفعلِ، وتتلوها جملةً فعليةً:

ومنه قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾

[البقرة: ٩٠]. يحلل التركيبُ الذميَّ طبقاً للآراءِ السابقة في (ما) كما يأتي:

- أن يكونَ التقديرُ: بئس الشيءُ شيءٌ اشتروا به أنفسهم أن يكفروا...

- (بئس): فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح.

- (ما): اسم معرفة تامة مبني في محل رفع فاعل.

- والمخصوص بالذمُّ محذوفٌ تقديره (شيء) في محل رفع، مبتدأٌ خبره

محذوف، أو خبر لمبتدأٍ محذوف، أو مبتدأٌ مؤخر، خبره المقدم جملة الذم.

- (اشتروا) فعل ماضٍ مبني على الضمة المقدرة، وواو الجماعة ضمير مبني في

محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع، نعت للمخصوص بالذم

المحذوف.

- (به) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بالاشتراء.

- (أنفسهم) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، وضمير الغائبين مبني

في محل جر بالإضافة.

- (أن) حرف مصدري ونصب مبني، لا محل له من الإعراب.

- (يكفروا) فعل مضارع منصوب بعد أن، وعلامة نصبه حذف النون، وواو

الجماعة ضمير مبني في محل رفع، فاعل، والمصدر المؤول في محلِّ رفع، بدل

من المخصوص بالذم. أو عطف بيان له.

هذا هو الوجهُ الأكثرُ قبولاً في إعرابِ مثلِ هذا التركيبِ لكن فيه أوجهٌ أخرى

مفادها:

- أن يكونَ التقديرُ: بئس الذي اشتروا به أنفسهم أن يكفروا. فتكون (ما) اسماً

موصولاً في محل رفع، فاعل، وجملة (اشترؤا) صلة لا محل لها من الإعراب، والمصدرُ المؤولُ (أن يكفروا) هو المخصوص بالذم.

- أن يكونَ التقدير: بئس اشتراؤهم كفرهم، فتكون (ما) حرفاً مصدرية، لا محل له من الإعراب، والمصدر المؤول (ما اشتروا) في محل رفع، فاعل بئس، أما المصدر المؤول (أن يكفروا) هو المخصوص.

- أن يكونَ التقدير: بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، فتكون (ما) منصوبةً على التمييز لفاعل (بئس) المستتر وتقديره: هو، أما جملة (اشترؤا) فهي في محل نصب، نعت لما، ويكون المصدرُ المؤولُ (أن يكفروا) هو المخصوص.

- أن يكونَ التقدير: بئس شيئاً شئاً اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، فتكون (ما) منصوبةً على التمييز لفاعل بئس المستتر، أما المخصوص فهو محذوف، وجملة (اشترؤا) في محل رفع، نعت للمخصوص المحذوف، والمصدر المؤول (أن يكفروا) في محل رفع، بدل منه، أو بيان.

- أن يكونَ التقدير: بئس ما ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، أي: بئس شيئاً الذي اشتروا، وعليه فإن (ما) تكون منصوبةً على التمييز لفاعل بئس المستتر، أما المخصوص فهو محذوف يقدر باسم موصول (ما)، وجملة (اشترؤا) صلته، والمصدرُ المؤولُ (أن يكفروا) بدلٌ من المخصوص.

أو التبادل بين إعراب (ما) الظاهرة وإعراب (ما) المحذوفة. فتكون (ما) المذكورة مع صلته المخصوص بالذم، ويكون فاعلُ (بئس) ضميراً محذوفاً مميّزاً بـ(ما) أخرى محذوفة في محلِّ نصبٍ على التمييز.

- هذا إلى جانب ما إذا جعلت (ما) لا محلَّ لها من الإعراب كافةً لبئس عن العمل، فدخل الفعلُ على الجملةِ الفعليةِ التي تتلوها كما هو في: طال وقلَّ وكثر.

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]. يمكن لنا أن نطبق الأوجه السابقة كلها، إلا أننا في بعض هذه الأوجه سنقدر محذوفاً مخصوصاً بعد جملة (يعظكم)، وفي أوجهٍ أخرى سنقدره بين جملة (يعظكم) و(ما).

من تراكييب (نعم وبئس) غير المألوفة^(١):

فاعل (نعم وبئس) نكرة:

قد يكون فاعلُ (نعم وبئس) منكرًا مفردًا، نحو: نعم رجلُ زيد، وعليه يقالُ:
نعم مواطنٌ الذي ينتمى إلى وطنه.

فيكون النكرتان (رجل ومواطن) فاعليَّ (نعم) مرفوعان، وقد ذكرنا أن فاعلِهما يكون معرفًا بالأداة أو مضافًا إلى المعرفِ بالأداة، أو ضميرًا مستترًا مميّزًا بنكرة، أو (ما)، فخرجت النكرة عن السماتِ البنيوية لفاعلِ (نعم وبئس)، وهو قليل جدًا.

فاعل (نعم وبئس) مضافًا إلى نكرة:

قد يكون فاعلُ (نعم وبئس) مضافًا إلى نكرة مفردة، كما جاء في قولِ الشاعرِ
(ينسب إلى حسان بن ثابت أو إلى كثير بن عبد الله النهشلي):

فنعم صاحبُ قومٍ لا سلاحَ لهم وصاحبُ الركبِ عثمانُ بنُ عفانا^(٢)

حيث فاعلُ (نعم) هو النكرة (صاحب)، وهو مفردٌ مضافٌ إلى نكرة (قوم)، فخرج بذلك عن السماتِ البنيوية لفاعلِ (نعم وبئس)، وهذا قليلٌ جدًا.

فاعلهما مضافًا إلى ضمير ما فيه أداة التعريف:

أجاز بعضُ النحويين أن يكونَ فاعلُ (نعم وبئس) مضافًا إلى ضميرٍ ما فيه الألفُ واللام. فيقال: القومُ نعم صاحبُهم أنت. حيث فاعل (نعم) هو (صاحب)، وهو مضافٌ إليه ضميرٌ يعود على (القوم)، وهو اسمٌ معرفٌ بالأداة. ومنه قولُ الشاعرِ^(٣):

فنعم أخو الهيجا ونعم شهابها

(١) يرجع إلى: شرح ابن يعيش ٧ - ١٣١ / الرضى على الكافية ١ - ٣١٧، ٣١٨.

(٢) ينظر: شرح المفصل ٧ - ١٣١ / المقرب ١ - ٦٦ / الصبان على الأشموني ٣ - ٢٨.

(٣) ارتشاف الضرب ٣ - ٢٠ / الصبان على الأشموني ٣ - ٢٨.

حيث (شهاب) فاعلٌ (نعم) الثانى، وهو مضافٌ إلى ضميرٍ يعودُ على الاسمِ المعرفِ بالأداةِ (الهيجا)، وهذا لا يقاس عليه لقلته.

فاعل (نعم وبئس) مقرونًا بالباءِ الزائدة:

قد يقرن فاعلٌ (نعم وبئس) بالباءِ الزائدة تشبيهاً لهما بفعلِ التعجب، وتضميناً لهما معناه، فقد روى قولهم: مرَّ بقومٍ نعمَ بهم قوماً، حيث زادت الباءُ فى فاعلِ (نعم) الضمير، وكأنه قال: أنعمَ بهم قوماً! على لفظِ التعجبِ ومعناه.

المخصوص مسبوفاً بحرفِ الجرِ الزائد:

قد تدخلُ الباءُ الزائدةُ على المخصوصِ بالمدحِ أو الذم، ومنه قوله عليه السلام: «نعمًا بالمالِ الصالحِ للرجلِ الصالحِ»، والتقدير: نعم شيئاً المألُ الصالحُ للرجلِ الصالحِ، حيث دخل حرفُ الجرِّ الزائدُ (الباءُ) على المخصوصِ بالمدحِ (المال).

وقد سبق حرفُ الجرِ الزائدُ (من) المخصوصَ فى قولِ الشاعر:

تَخَيَّرَهُ ولم يعدلِ سواه فنعمَ المرءُ من رجلٍ تهامى^(١)

حيث (من) حرفُ جرِ زائدٍ للتوكيد، وهذا ضرورة، أو شذوذ.

فاعلهما الضمير ظاهرًا:

فاعلٌ (نعم وبئس) إذا كان ضميرًا فإنه يجب أن يستتر وأن يكون مميزًا بنكرة، لكنه قد يظهر، حيث روى قولهم: مررت بقومٍ نعموا قوماً. حيث فاعلٌ (نعم) ضميرٌ مميزٌ بالنكرة (قوماً)، فكان يجب أن يكون مستترًا، لكنه ظهر وهو واو الجماعة، وهذا قليلٌ، ومحكومٌ بشذوذه^(٢).

المخصوص مساوٍ لفاعلِ (نعم وبئس):

قد يأتى تركيبُ المدحِ أو الذمِّ على مثال: نعم عبدُ الله زيدٌ، وبئس عبدُ الله هو، حيث يكون المخصوصُ بالمدحِ أو الذمِّ مساويًا فى معناه الظاهرِ الدالِّ عليه لفظه مع فاعلِ (نعم وبئس)، وقد ذكرنا أن المخصوصَ يجب أن يكونَ واحدًا من

(٢) شفاء العليل ٢ - ٥٨٨ .

(١) ينظر: المقرب ١ - ٦٩ / أوضح المسالك ٢ - ١١٣ .

جنسِ فاعلِ المدحِ أو الذمِّ، أى: يكونُ الفاعلُ دالًّا على الجنسِ، وهذا مخالفٌ لهذه السمةِ التى يجبُ أن يكونَ عليها الفاعلُ.

وإن قُبِلَ هذا التركيبُ فإنه يكونُ على سبيلِ تنكيرِ المضافِ، كأن يفهمَ من الفاعلِ (عبد الله) معنى (عبد).

فاعل (نعم وبئس) اسماً موصولاً:

أجاز المبردُ^(١) والفراسيُّ^(٢) إسنادَ فعلى المدحِ والذمِّ إلى الاسمِ الموصولِ (الذى) على أنه يدلُّ على الجنسِ^(٣)، فتقول: نعم الذى يأمرُ بالمعروفِ محمداً، أى: نعم الأمرُ... فيكونُ دالًّا على الجنسِ.

كما أجاز قومٌ ذلك مع (من وما) الموصولتين مقصوداً بهما الجنسُ، فيقال عند هؤلاء: نعم من يتقنُ عمله على، نعم ما تتصف به من صفةِ الصدقِ.

حذف التمييز والمخصوص معاً:

قد يحذف تمييزُ فاعلِ (نعم وبئس) والمخصوصُ بالمدحِ أو الذمِّ معاً، كأن تقول: إن فعلتُ كذاً فيها ونعمتُ، والتقديرُ: نعمتُ فعلةً فعلتُك، بحذف التمييزِ واسمِ الممدوحِ^(٤).

ومنه قوله ﷺ: «مَنْ تَوْضَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهَا وَنِعِمَّتْ»^(٥). والتقدير: فبالسنةِ أخذ، ونعمتُ السنةُ هذه الحالة. أو: ونعمتُ سنةً هذه الحالة، أو: هذه السنةُ^(٦).

قد يلحق الفعلين علامة التانيث مع المخصوص المؤنث:

إذا كان المخصوصُ بالمدحِ أو الذمِّ مؤنثاً فإنه قد يلحق الفعلين (نعم وبئس) علامة التانيثِ مع الفاعلِ المذكورِ، تأثراً بتانيثِ المخصوصِ. من ذلك قولُ الشاعر:

(١) المقتضب ٢ - ١٤٢.
(٢) الإيضاح العضدى ٤٥.
(٣) شفاء العليل ٢ - ٥٨٩.
(٤) ينظر: المقرب ١ - ٦٦، ٦٧.
(٥) سنن ابن ماجه ١ - ٣٤٧ / رياض الصالحين ٤٤٣.
(٦) ينظر: شرح التسهيل ٣ - ١٤، ١٥ / شفاء العليل ٢ - ٥٨٨ / المساعد ٢ - ١٣٠.

نعمت جزاء المتقين الجنةُ دارُ الأمانى والمنى والمنى والمنى^(١)
 حيث المخصوصُ بالمدح (الجنةُ)، وهو مؤنثٌ، أما فاعلُ (نعم) وهو (جزاء)
 مذكرٌ، ولكن الفعلَ لحقته علامةُ التأنيثِ جوازاً لتأنيثِ المخصوصِ.

ومنه - كذلك - قولُ ذى الرمة:

أو حرةٌ عيطلُ ثبجاءُ مُجفِرةٌ دعائمَ الزورِ نعمتُ زورقُ البلدِ^(٢)
 حيث فاعلُ (نعم) زورقٌ، وهو مذكرٌ، لكن الفعلَ لحقته علامةُ التأنيثِ، وذلك
 لأن المخصوصَ مؤنثٌ، وهو (حرة).

(حب) فى المدح والذم

يُستعملُ التركيبُ (حبّاً) للمدح العام، أمّا للذمّ العام فإنه يستخدم هذا التركيبُ
 منفياً بالسلب (لا حبذا). حيث:

(١) ينظر: شرح التسهيل ٣- ٢٠ / شفاء العليل ٢- ٥٩٢ / المساعد ٢- ١٣٧ / شرح الشذور ٢١.

(نعمت) فعل ماضٍ مبنى على الفتح، والتاء: حرف تأنيث مبنى على السكون، لا محل له من
 الإعراب. (جزاء) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (المتقين) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛
 لأنه جمع مذكر سالم. والجملة الفعلية لا محل له من الإعراب، أو فى محل رفع، خبر مقدم. (الجنة)
 خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف، أو مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والتقدير:
 هى دار. (الأمانى) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة. (والمنى) عاطف ومعطوف على
 الأمانى مجرور، (والمنة) عاطف ومعطوف مجرور.

(٢) ينظر: التبصرة والتذكرة ١- ٢٧٦ / شرح ابن يعيش ٧- ١٣٦ / المقرب ١- ٦٨ / ديوانه ١٤٦.

(العيطل: طويلة العنق، ثبجاء: عريض ما بين الكاهل إلى الظهر، المجفرة: الناقة العظيم وسطها،
 الدعامة: خشبة الخيمة، والمقصود بها هنا: القوائم، زورق: السفينة والبلد الأرض والمفازة، الزوراء:
 أعلى الصدر.

(أو) حرف عطف مبنى، لا محل له من الإعراب. (حرة) معطوف على مرفوع سابق مرفوع، وعلامة
 رفعه الضمة. (عيطل ثبجاء مجفرة) صفات لحرة مرفوعة وعلامة رفع كل منها الضمة. (دعائم) مفعول
 به لمجفرة منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (الزور) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (نعمت)
 فعل ماضٍ مبنى على الفتح، والتاء حرف تأنيث مبنى. (زورق) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.
 والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (البلد) مضاف إليه مجرور،
 وعلامة جره الكسرة. والمخصوص بالمدح محذوف، وهو إما مبتدأ مؤخر، وإما مبتدأ خبره محذوف،
 وإما خبر لمبتدأ محذوف.

(حب):

فعلٌ ماضٍ على مثال (فَعَلَ) مضمومَ العين، وهو: حَبَّبَ، بضمِّ الباءِ الأولى، ثم أدغم الممتثالان، وأصله: (حبب) بفتح العين، وهو فعلٌ غيرٌ متصرفٍ لخروجه عن أصلٍ معناه إلى المدح.

(ذا):

اسمٌ إشارةٌ للمفرد، خلع منه الإشارة -وهي للتعريف- لغرض الإبهام، ولذلك فإن تقديرَ (حبذا): حب الشيء.

واسمُ الإشارةِ (ذا) يلزم الفعلَ (حب) لإفادة المدح العام، أو الذمَّ العام، فإذا انفردَ الفعلُ عنه كان من قبيلِ المدح الخاص والذمَّ الخاص.

وتخصيصُ اسمِ الإشارةِ (ذا) في هذا التركيبِ لأنه اسمٌ مبهمٌ ينعت بالأجناسِ، فيقال: هذا الرجلُ، هذه المرأةُ... إلخ.

وحكمُ (حب) كحكمِ (نعم وبئس) في الإسنادِ إلى ما يدلُّ على الجنس، فركَّبوا (حب) مع (ذا) لينوبَ عن أسماءِ الأجناسِ، فهو يجري مجرى ما فيه الألفُ واللامُ من أسماءِ الجنس.

ولذلك فإنه يقال: حبذا الصديقُ الأمينُ، كما تقول: نعم الرجلُ الصديقُ الأمينُ، فقابل اسمُ الإشارةِ (ذا) اسمَ الجنسِ (الرجل).

كما أنه يكون بمنزلةِ المضمرةِ في (نعم)، ولذلك فإنه فسر بالنكرةِ وميَّز بها، فيقال: حبذا رجلاً وحبذا امرأةً، بنصبِ كلِّ من (رجل وامرأة) على التمييز. كما ميَّز الضميرُ في (نعم) بالنكرةِ المنصوبة، حيث يقال: نعم رجلاً، ونعم امرأةً، أو: نعمت، والتقديرُ: نعم هو رجلاً، وهي امرأةً.

ولذلك فإنك تقول: حبذا رجلاً المواطنُ الوفي، كما تقول: نعم رجلاً المواطنُ الوفي، حيث ميَّز كلُّ من اسمِ الإشارةِ (ذا) والضميرِ المستترِ في (نعم) بالنكرةِ المنصوبةِ (رجلاً).

(لا):

حرف نفي يدخل على التركيب (حبذا) الدال على المدح، ليجعله مفيداً للذم، فتقول: لا حبذا الكذب، لا حبذا المرأة غير الوفية. لا حبذا المواطن الخائن.

يلحظ في دخول حرف النفي (لا) على (حبذا) ما يأتي:

- (لا) لا يدخل على الفعل الماضي الجامد في أصل وضعه.

- كما أنه لا يدخل على الاسم - إن لم يُقد الجنس، وإن لم يكرر.

فتقول: لا مواطن خائن، لا بائع غشاش حيث أفاد كل من (مواطن) و (بائع) التعبير عن الجنس.

ولكنك تقول: لا المواطن خائن ولا المواطنة، لا إهمالك مفيد ولا تراخيك، فقد كررت (لا) لأنها دخلت على معارف لم تفد الدلالة على الجنس.

من ذلك قول الشاعر:

ألا حبذا عاذري في الهوى ولا حبذا الجاهل العاذل^(١)
الشرط الأول مدح، والآخر ذم.

وقول كثره صاحبة ذى الرمة، أو: لذي الرمة:

ألا حبذا أهل الملا غير أنه إذا ذكرتُ ميُّ فلا حبذا هيأ^(٢)

(١) شفاء العليل ٢ - ٥٩٦ / شرح التصريح ٢ - ٩٩ / الهمع ٢ - ١٩٩ / أوضح المسالك ٢ - ٢٩٠.
(ألا) حرف استفتاح وتنبية مبنى لا محل له من الإعراب. (حبذا) حب: فعل ماض مبنى على الفتح. ذا: اسم إشارة مبنى فى محل رفع، فاعل. وجملة المدح الفعلية إما لا محل لها من الإعراب، وإما فى محل رفع، خبر مقدم. (عاذري) عاذر: المخصوص بالمدح، وهو إما مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة المناسبة لضمير المتكلم، وخبره محذوف، وإما خبر مرفوع مقدراً لمبتدأ محذوف، وإما مبتدأ مؤخر، وخبره المقدم جملة المدح. وضمير المتكلم مبنى فى محل جر بالإضافة. (فى الهوى) جار ومجرور بكسرة مقدرة للتعذر، وشبه الجملة متعلقة بعاذر. (ولا) الواو: حرف عطف مبنى، لا محل له من الإعراب. لا: حرف نفي مبنى، لا محل له من الإعراب. (حبذا الجاهل) كإعراب حبذا عاذر. (العاذل) نعت للجاهل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.
(٢) شرح ابن الناظم ٤٧٤ / شرح ابن عقيل ٣ - ١٦٩.

حيث ذمَّ أهل الملا وذم مىَّ أو ميَّاً .

الأوجه الإعرابية المحتملة فى تركيب (حبذا):

يذهب النحاة مذاهبَ شتى ومختلفةً فى إعرابِ تركيبِ (حبذا) على النحو الآتى:
- الرأى الأكثرُ شيوعاً وقبولاً إعرابُ تركيبِ المدحِ بـ (حبذا) بالأوجهِ الإعرابيةِ الشائعةِ فى تركيبى (نعم وبئس)، حيث يكون إعرابُ المثلِ: (حبذا الوفاء) على النحو الآتى:

(حبّ) فعلٌ ماضٍ مبنى على الفتح .

(ذا) اسمٌ إشارةٌ مبنى فى محل رفع، فاعل .

والجملةُ الفعليةُ إما فى محلِّ رفعٍ خبرٍ مقدم، وإما لا محلَّ لها من الإعراب .
(الوفاء) وهو المخصوصُ بالمدح، فيكون إما: مبتدأً مؤخراً مرفوعاً، وعلامةُ رفعه الضمة، على أن جملةَ المدحِ الفعلية فى محل رفع، خبر مقدم . مع ملاحظة أنه لا يجوزُ أن يتقدمَ المخصوصُ على (حبذا) لفظاً، وبذلك فإنه من الأفضل والأرجح أن نتجاوزَ هذا الوجهَ من الإعراب، وهو احتسابُ المخصوصِ مبتدأً مؤخراً، خبره المقدمُ جملةً (حبذا).

= (ألا) حرف استفتاح وتنبية مبنى، لا محل له من الإعراب . (حبذا) فعل وفاعل، والجملة إما خبر مقدم، وإما لا محل لها من الإعراب . (أهل) هو المخصوص، فيكون إما مبتدأً مؤخراً، وإما مبتدأً حذف خبره، وإما خبراً محذوف المبتدأ . (الملا) مضاف إلى مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة، منع من ظهورها التعذر . (غير) اسم استثناء منصوب وعلامة نصبه الفتحة . (أنه) أن: حرف توكيد ونصب مبنى، لا محل له من الإعراب . وضمير الغائب مبنى فى محل نصب، اسم أن . (إذا) اسم شرط غير جازم مبنى فى محل نصب على الظرفية . (ذكرت) فعل ماض مبنى على الفتح مبنى للمجهول، والتاء للتأنيث حرف مبنى، لا محل له من الإعراب . (مى) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والجملة الفعلية فى محل جبر بالإضافة . (فلا) الفاء حرف واقع فى جواب الشرط للربط والتأكيد مبنى، لا محل له من الإعراب . لا: حرف نفي مبنى، لا محل له من الإعراب . (حبذا) فعل وفاعل، والجملة إما خبر مقدم، وإما لا محل لها من الإعراب . (هى) المخصوص بالذم، فيعرب إما مبتدأً مؤخراً، وإما خبراً لمبتدأٍ محذوف، وإما مبتدأً خبره محذوف . والألف للإطلاق، وجملة فلا حبذا هى) لا محل لها من الإعراب جواب شرط إذا، والتركيب الشرطى فى محل رفع، خبر أن، والمصدر المؤول من أن ومعموليهما فى محل جبر بالإضافة .

وإما مبتدأً خبره محذوفٌ، والتقدير: والوفاء الممدوح. أو: خبر لمبتدأ محذوف،
والتقدير: هو الوفاء، أو الممدوح الوفاء، على أن الجملة الفعلية لا محل لها من
الإعراب.

فإذا قلت: حبذا الوفاءُ صفةً، فإن (صفة) تعرب تمييزاً للفاعل اسم الإشارة.

لكن هناك مذاهبٌ أخرى في إعراب التركيب، وهى:

- يرى بعضُ النحاة -وعلى رأسهم المبردُ وابنُ السراج وابنُ عصفور- غلبةَ
صفةِ الاسميةِ على الفعليةِ فى التركيب، حيث إن الفعلَ (حب) عندما رُكِبَ مع
الاسمِ (ذا) أزال (ذا) فعليةً (حب) إلى اسميته، وعلى ذلك يكون التقديرُ فى
التركيب: المحبوبُ الوفاء، فيعرب (حبذا) مبتدأً خبره المخصوصُ.

- يذهب بعضهم نقيضَ الرأى السابق، حيث يرى غلبةَ الفعليةِ على الاسميةِ، حيث
أزال التركيبُ اسميةً (ذا)، فصار الفاعلُ كـبعضِ حروفِ الفعلِ، ويكون الإعرابُ:

(حبذا) فعلٌ، والمخصوص (الوفاء) فاعله، و(ذا) لغو.

- يذهب قومٌ إلى أن المخصوصَ يكون عطفَ بيانٍ لاسم الإشارة.

- ويذهب آخرون إلى أنه بدلٌ من اسم الإشارة.

ولكن هذا يُردُّ بأنه لا يجوز الاستغناءُ عنه، كما لا يحل محلُّ المبدلِ منه، كما
هو حدُّ البدل، حيث البدلُ فى نيةِ تكريرِ العاملِ.

- يذهب آخرون - وعلى رأسهم الربعى - إلى أن (ذا) زائدةٌ، وعليه فإن (حب)

فعلٌ، والمخصوصُ فاعله، فتكون (حبذا) عند هؤلاء مثالَ (ماذا).

- يرى بعضهم أن (حب) و(ذا) بمنزلةِ كلمةٍ واحدةٍ، مثل: لولا، وهو اسمٌ

مرفوعٌ، حيثُ يكون المخصوصُ خبراً له، وينسب هذا إلى الخليل.

خصائص تركيب (حبذا):

لتركيب (حبذا) فى المدح والذم سماتٌ أو خصائصٌ خاصة، بعضها يختص به،

والأخرى مقرونةٌ بينه وبين تركيب (نعم وبئس)، ذلك على النحو الآتى:

أ - مبنى اسم الإشارة فى التركيب:

يلزم اسم الإشارة فاعل (حَبّ) الأفراد والتذكير.

فيقال: حَبِّدًا الأَمن. - حبذا الأَمنة.

حَبِّدًا الأَمنان. - حبذا الأَمنيتان.

حبذا الأَمناء. - حبذا الأَمنيات.

ويعلّل لذلك بما يأتى:

- إما لأن تركيب (حبذا) للمدح والذم - بينتَه هذه - صار بمنزلة المثل، والأمثال لا تتغيرُ بنيتها عبر الأجيال؛ لذلك فإن هذا التركيب فى معنى المدح والذم لا يتغيرُ بنويًا.

- وإما لأن اسم الإشارة (ذا) فى هذا التركيب صار اسم جنسٍ شائعاً، فالتزم فيه الأفراد.

- وإما لأن اسم الإشارة مع الفعلِ صارا بمنزلة كلمة واحدة، فصار اسم الإشارة فى منزلة بعض الكلمة، فلا يجوز فيه شىءٌ من التغيرِ العددي أو الجنسى، ذلك لأنه لا يتغيرُ جزءُ الكلمة إلا فى الكلمات المعربة، حيث يتغيرُ ضبطُ أو آخرها لتغيرِ موقعها فى الكلام.

ويدلّل على ذلك بأنه لا يفصلُ بين الفعلِ (حَبّ) و(ذا) بشىءٍ.

ب - ينصب (حبذا) النكرة:

لا ينصب (حبذا) إلا النكرات، حيث تكونُ تمييزاً لاسم الإشارةِ الفاعلِ، وقد تذكر النكرة المنصوبةُ تمييزاً بعد المخصوصِ أو قبله. فتقول:

حبذا المؤمنُ إنساناً، وحبذا إنساناً المؤمن.

ومنه قولُ الشاعر:

ألا حبذا قومًا سليمٌ فإنهم وفوا إذ تواصلوا بالإعانة والنصر^(١)

تقدم التمييزُ النكرةُ المنصوبةُ (قومًا) على المخصوصِ بالمدحِ (سليم).

وقولُ الآخر:

حبذا القبرُ شيمَةً لامرئٍ رامَ مباراةَ مولعٍ بالمعالي^(٢)

حيث ذكرت النكرةُ المنصوبةُ تمييزاً لفاعلِ (حب) بعد المخصوصِ بالمدحِ

(الصبر).

قد يكون المنصوبُ بعد (حبذا) حالاً، كما هو في قول الشاعر:

يا حبذا المالُ مبذولاً بلا سرفٍ في أوجه البرِّ إسراراً وإعلاناً^(٣)

(١) شرح التسهيل ٣-٢٨ / شفاء العليل ٢-٥٩٦ / الدرر ٢-١١٧ / الهمع ٢-٨٩.

(ألا) حرف استفتاح وتبنيه مبني، لا محل له من الإعراب. (حبذا) حب: فعل ماض مبني على الفتح. ذا: اسم إشارة مبني في محل رفع، فاعل. (قوما) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. والجملَةُ الفعلية خبر مقدم في محل رفع، أو لا محل لها من الإعراب.

(سليم) المخصوص وهو مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، أو: خبر لمبتدأ محذوف، أو: مبتدأ خبره محذوف. (فإنهم) الفاء عاطفة سببية حرف مبني، لا محل له من الإعراب. إن: حرف توكيد ونصب مبني، لا محل له من الإعراب. وضمير الغائبين مبني في محل نصب، اسم إن. (وفوا) فعل ماض مبني على الضم المقدر. وواو الجماعة ضمير مبني في محل رفع، فاعل، والجملَةُ الفعلية في محل رفع، خبر إن: (إذ) ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالوفاء. (تواصلوا) فعل ماض مبني على الضم المقدر، وواو الجماعة ضمير مبني في محل رفع، فاعل. والجملَةُ الفعلية في محل جر بالإضافة. (بالإعانة) جار ومجرور، وشبه الجملَةُ متعلقة بالتواصي. (والنصر) عاطف مبني ومعطوف على الإعانة مجرور.

(٢) شرح التسهيل ٣-٢٨ / شفاء العليل ٢-٥٩٦ / الدرر ٢-١١٧ / الهمع ٢-٨٩.

(لامرئ) شبه جملَة في محل نصب، نعت لشيمَة، ويجوز أن تتعلق به. (رام) جملَة فعلية في محل جر نعت لامرئ. (مولع) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (بالمعالي) جار ومجرور بالكسرة المقدرَة، وشبه الجملَة متعلقة بمولع.

(٣) المساعد ٢-١٤٤ / شفاء العليل ٢-٥٩٧.

(يا) حرف تبنيه مبني، لا محل له من الإعراب، أو حرف نداء مبني حذف المنادى منه. (حبذا) فعل ماض مبني على الفتح. ذا: اسم إشارة مبني في محل رفع، فاعل. والجملَةُ في محل رفع، خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (المال) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، أو مبتدأ حذف خبره، أو خبر لمبتدأ محذوف. (مبذولاً) حال منصوبة، وعلامة نصبها الفتحة. (بلا) حرف جر مبني، لا محل له =

(مبذولًا) حالٌ منصوبة، والعامِلُ فيها (حَبٌّ).

ومنه أن تقول: حبذا الأستاذُ شارحًا، وحبذا شارحًا الأستاذُ.

واختلف النحاةُ في توجيهِ إعرابِ المنصوبِ بعد (حبذا):

- فمنهم من جعله تمييزًا مطلقًا.

- ومنهم من جعله حالًا مطلقًا.

- ومنهم من جعله مفعولًا به لفعلٍ محذوفٍ تقديره، أعنى.

- ومنهم من جعله تمييزًا إذا كان اسمًا جامدًا، وحالًا إذا كان مشتقًا.

وأرى أن الرأيَ الأخيرَ أكثرُ قبولًا.

ج - حذف مخصوص (حبذا):

قد يحذف المخصوصُ لقريظةٍ دلت عليه، ومنه قولُ عبد الله بن رواحة

الأنصاري:

باسمِ الإلهِ وبه بَدِينَا ولو عبدنا غيره شَقِينَا

فحبذا ربًّا وحبًّا دينا (١)

أى: فحبذا الإله ربًّا، وحب دينه دينا.

وقول الآخر:

ألا حبذا لولا الحياءُ وربما منحتُ الهوى من ليس بالمتقارب (٢)

= من الإعراب، وحرف نفى مبنى، (سرف) اسم مجرور بعد الباء، وعلامة جره الكسرة، وشبه الجملة في محل نصب، حال من الضمير في مبذول، أو متعلقة بالبدل. (فى أوجه) جار ومجرور، وشبه الجملة متعلقة بالبدل. (البر) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (إسرارا) مصدر واقع موقع الحال منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (وإعلانا) عاطف مبنى ومعطوف على (إسرارا) منصوب.

(١) شرح التسهيل ٢- ٢٨ / شرح ابن الناظم ٤٧٧ / المساعد ٢- ١٤٤ / شفاء العليل ٢- ٥٩٧ / الدرر ٢- ١١٥ / شرح التصريح ٢- ٩٩.

(٢) شرح التسهيل ٢- ٢٨ / المساعد ٢- ١٤٥ / شفاء العليل ٢- ٥٩٧ / الدرر ٢- ١١٦ / الهمع ٢- ٨٩ / الصبان على الأشموني ٣- ٣١.

والتقديرُ: ألا حبذا حالى معك، إشارةً إلى ما سبق هذا البيت من معنى.

د- إسناد (حب) إلى غير (ذا):

قد يسند الفعلُ (حبّ) إلى غير اسم الإشارةِ (ذا)، ففتح فائؤه، أو تُضم، ويكون فيه معنى المدح التعجبي.

فتقول: حُبَّ الصّدق، وحَبَّ.

ويجوز أن يجرَّ الفاعلُ -هنا- بالباءِ، كما ورد في قول الأخطل:

فقلت اقتتلوها عنكم بمزاجها وحُبَّ بها مقتولةً حين تقتل^(١)
بضمّ حاءِ (حب)، وفتحها.

= (ألا) حرف تنبيه واستفتاح مبني، لا محل له من الإعراب. (حبذا) فعل ماضٍ وفاعل، والجملة خبر مقدم لمبتدأ مؤخر محذوف. (لولا) حرف شرط غير جازم مبني، لا محل له من الإعراب. (الحياء) مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وخبره محذوف تقديره (يمنعني). (وربما) حرف عطف، وحرف جر شبه بالزائد، وحرف كاف لرب، وكل منها مبني لا محل له من الإعراب. (منحت) فعل وفاعل. (الهورى) مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها التعذر. (من) اسم موصول مبني في محل نصب، مفعول به ثان. (ليس) فعل ماضٍ ناقص مبني على الفتح، واسمه ضمير مستتر تقديره: هو. (بالتقارب) الباء: حرف جر زائد مبني، لا محل له من الإعراب. المتقارب: خبر ليس منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. وجملة ليس مع معموليها صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

(١) ينظر: الأصول ١ - ١٣٧ / التبصرة والتذكرة ١ - ٢٨١ / أسرار العربية ١٠٨ / شرح ابن يعيش ٧ - ١٢٩ / الخزانة ٤ - ١٢٢.

(فقلت) الفاء بحسب ما قبلها. قال: فعل ماضٍ مبني على السكون، وتاء المتكلم ضمير مبني في محل رفع، فاعل. (اقتلوها) فعل أمر مبني على حذف النون. وواو الجماعة ضمير مبني في محل رفع، فاعل، وضمير الغائبة مبني في محل نصب، مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب، مقول القول. (عنكم) جار ومجرور مبنيان. وشبه الجملة متعلقة بالقتل. (بمزاجها) جار ومجرور بالكسرة مضاف، وضمير الغائبة مبني في محل جر بالإضافة، وشبه الجملة متعلقة بالقتل. (وحب) الواو حرف استئناف لا محل له. حب: فعل ماضٍ مبني على الفتح. (بها) الباء: حرف جر زائد مبني، لا محل له من الإعراب. وضمير الغائبة مبني في محل رفع، فاعل حب. (مقتولة) حالٌ منصوبة، أو: تمييز منصوب. (حين) ظرف زمان مبني على الفتح في محل نصب متعلق بحب. (تقتل) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره: هي، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة.

هـ - إسقاط اسم الإشارة من (حبذا):

يجوز أن يسقط اسم الإشارة (ذا) من (حبذا)، وحينئذ يلزمه التفسير كما يلزم (نعم) حين إسناده إلى الضمير المستتر، فتقول: حُبَّ رجلاً محمداً. بفتح الحاء وبضمها.

ز- دخول حرف النداء على (حب):

يكثر دخول حرف النداء (يا) على (حَبَّ)، ولم يُستوحش مباشرة حرف النداء له، ومنه قول جرير:

يا حَبِّذاً جبلُ الرِّيانِ من جبلٍ وحَبِّذاً ساكنُ الرِّيانِ مَنْ كانا^(١)

ح - ذكر التمييز بين (حبذا) و (نعم):

ذكرنا أن اسم الإشارة من (حبذا) يجرى مجرى اسم الجنس المعروف بالأداة مع (نعم)، كما أنه يجرى مجرى الضمير الفاعل المستتر معه، ولذلك فإنه قد يميز بنكرة منصوبة جوازاً، أى: يجوز أن تذكر النكرة المنصوبة مع (حبذا)، ويجوز ألا تذكرها، فتقول: حبذا مسلماً الذى يعمل بشعب الإيمان، وحبذا الذى يعمل بشعب الإيمان.

(١) ينظر: شرح ابن عييش ٧- ١٤٠ / المقرب ١ - ٧٠ / الهمع ٢- ٨٨ / ديوانه ٥٩٦.

(يا) حرف نداء مبنى، لا محل له من الإعراب، والمنادى محذوف، والتقدير: يا قومي، أو حرف تنبيه مبنى، لا محل له من الإعراب. (حبذا) فعل ماض مبنى على الفتح، واسم الإشارة فاعله مبنى فى محل رفع. والجملة فى محل رفع، خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (جبل) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. أو مبتدأ محذوف الخبر، أو خبر لمبتدأ محذوف. (الريان) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (من) حرف جر زائد مبنى، لا محل له من الإعراب. (جبل) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. (وحبذا) عاطف مبنى، وفعل ماض مبنى، وفاعل مبنى، والجملة خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (ساكن) مبتدأ مؤخر، أو خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف. (الريان) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (من) اسم موصول مبنى فى محل رفع، بدل من ساكن. (كانا) فعل ماض تام مبنى على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو. والألف للإطلاق حرف مبنى، لا محل له من الإعراب، وجملة (كان) صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

ولكن التمييزَ في (نعم) إذا كان فاعله ضميراً مستتراً فإن ذكره واجب، فلا يجوز لك إلا القول: نعم مؤمناً الذي يعمل بشعب الإيمان، حيث فاعلُ (نعم) ضميرٌ مستترٌ تقديرُه: (هو)، فكان ذكرُ تمييزه المنصوبِ واجباً، وهو: (مسلمًا)، ولا يجوز حذفه.

ط - دخول النواسخ على مخصوص (حبذا):

لا يجوز أن يدخل النواسخُ على المخصوصِ في تركيب (حبذا)، حيث لا يجوز أن يتقدمَ على جملة المدح والذم.

ولكنه يجوز أن تدخلَ عليه في تركيبِ (نعم وبئس)، فيقال: إن محمداً نعم الطالبُ، وبئس المتحدثُ كان الكذوبُ.

ي - رتبةٌ مخصوص (حبذا):

لا يجوز أن يتقدمَ المخصوصُ في تركيبِ (حبذا)، على خلاف المخصوصِ في تركيبِ (نعم وبئس)، حيث يجوز تقديمه. فتقول: محمدٌ نعمَ المسلمُ، ونعم المسلمُ محمدٌ.

ولكنه لا يجوزُ إلا أن تقولَ: حبذا محمدٌ، على هذا الترتيبِ في التركيبِ.

ما كان مضموم العين في الماضي في المدح والذم:

يرى معظمُ النحاة أن كلَّ فعلٍ صالحٍ للتعجبِ منه يجوز أن يستخدمَ استخدامَ (نعم وبئس) في إرادة معنى المدح أو الذم.

الفعل الذي يصلح التعجبُ منه:

يشترطُ فيه أن يكونَ: ثلاثياً، متصرفاً، تاماً، مثبتاً، قابلاً للتفاوتِ أو التفاضلِ، ليس الوصفُ منه على مثال: أفعال مذكراً، وفعلاء مؤنثاً، مبنياً للمعلوم. وكلُّ فعلٍ تتوافرُ فيه هذه الشروطُ يصلحُ التعجبُ منه، كما أنه يجوز أن تُضمَّ عينه في الماضي ليستعملَ في المدح والذم.

ضم عين الفعل الماضي:

ضمُّ عينِ الفعلِ الماضي في هذا الباب يكون جوازاً:

إما من طريق الأصاله، أى: أن الفعلَ مضمومٌ عينٌ ماضيه في بنائه الأصلي، نحو ظرْفٌ، كرمٌ، شرفٌ، جملٌ، حسنٌ، طهرٌ.....

وإما من طريق التحويل، أى: أن ماضى الفعل ليس مضموم العين في بنائه الأصلي، لكن تضمُّ العينَ لتحويل صيغة الماضي إلى المعنى المقصود من المدح أو الذم، وذلك نحو: فَهْمٌ، سَمْعٌ، عِلْمٌ، نَزْلٌ، قَتْلٌ، ضَرْبٌ... إلخ، وكلُّها مضمومُ العين، فيصير المتعدى منها لازماً، ويكتسبُ هذا البناءُ معنى الغرائز.

استخدامه استخدام (نعم وبئس):

مثل هذه الأفعال التي تضمُّ عينها في الماضي يجوز -عند أكثر النحاة- أن تستعمل استعمالاً (نعم وبئس)، من حيث:

أ- إفادة معنى المدح والذم حسب دلالة الجذر، إن حسناً وإن قُبْحاً. فيكون (فهمٌ وجملٌ وحسنٌ وعظمٌ) مفيداً معنى المدح، أما (خبثٌ وقبحٌ وفسقٌ وغدرٌ) فإنها تفيد معنى الذم.

ب- حكم فاعل (نعم وبئس): إن ظاهراً وإن مضمراً.

ج- أحكام المخصوص بالمدح أو الذم، من حيث: الموقع الإعرابي، وأوجه رفعه، وتقديمه وتأخيرُه، وجوازُ حذفه إذا تقدم ما يدلُّ عليه أو يُشعرُ به.

فتقول: فَهْمُ الطالبِ محمدٌ، ويكون بمثابة قولك: نعم الفاهمُ محمدٌ. وتقول: خبثُ الرجلِ المرأى، ويكون بمثابة القول: بئس الخبيثُ المرأى.

ومنه القول: حَسَنَ الخُلُقِ حِلْمُ الحِلماءِ. وعظُم الكرمُ تقوى الأتقياء، وقَبَحَ العملُ عنادُ المبطلين. وفسقُ الرجلُ خائنُ العهد. وتقول: صدقُ رجلاً أبو بكر.

ومنه قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

[الكهف: ٥]، حيث يوجه التركيبُ (كبرت كلمة) على وجهين:

أولهما: أن يكون التقديرُ: ما أكبرها كلمةً، وذلك على معنى التعجب، فيكون فاعلُ (كبر) ضميراً مستتراً عائداً على ما قالوه. وتكون (كلمة) منصوبةً على التمييز، أما الجملة الفعلية (تخرج) فتكون في محل نصبٍ، نعتٌ لكلمة.

والآخر: أن يكون على معنى الذم، نحو قولك: بئس رجلاً، فيكون فاعل (كبر) ضميراً مستتراً مميّزاً بالنكرة المنصوبة (كلمة)، ويكون المخصوصُ محذوفاً تقديره (هى) تعود على كلمة، وجملة (تخرج) فى محل رفع، صفة للمخصوص بالذم.

وقوله تعالى: ﴿ وَحَسَنَ أَوْلَانِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]. وقوله: ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٣١].

ومنه قولُ الشاعر:

حَسَنَ فِعْلًا لِقَاءُ ذِي الشَّرْوَةِ الْمُؤَمِّدِ لَقِيَ بِالْبَشْرِ وَالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ^(١)
ومنه: ساء، حيث تقول: ساء الرجلُ الصديقُ الخائنُ، وساءَ رجلاً الصديقُ الخائنُ، فيكون كقولك: بئس الرجلُ...، وبئس رجلاً...، حيث (الرجل) فاعل (ساء)، أما (رجلاً) فهو تمييز منصوب للفاعل الضمير المستتر، والتقدير: ساء هو رجلاً. و(الصديق) فى القولين هو المخصوص.

وساء من السوء، وأصلها: سواً بفتح العين، ضمت الواو، فتحركت، وانفتح ما قبلها، فقلبت إلى ألفٍ، وصارت إلى ما هى عليه من النطق.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]. وقوله: ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

(١) شرح التسهيل ٣- ٢٨ / شفاء العليل ٢- ٥٩٧ / الهمع ٢ - ٨٩.

(حسن) فعل ماض مبنى على الفتح. (فعلاً) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (لقاء) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، (ذى) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه من الأسماء الستة. (الثروة) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (الملق) نعت لذى مجرور، وعلامة جره الكسرة. (بالبشر) جار ومجرور، وشبه الجملة متعلقة بالملق، و(العطاء) حرف عطف مبنى، ومعطوف على البشر مجرور، وعلامة جره الكسرة. (الجزيل) نعت للعطاء مجرور، وعلامة جره الكسرة.

حيث تكون (ما) معرفةً اسماً موصولاً في محلِّ رفعٍ، فاعلٍ، والتقدير: ساء الذي يحكمون به قولهم، أو حكمهم

وإما أن تكون نكرةً تمييزاً، والفاعلُ ضميرٌ مستترٌ تقديره: (هو) ميمز بالنكرة، وجملة (يحكمون) في محلِّ نصبٍ، نعت لـ (ما).

وعلى الوجهين فإن المخصوصَ يكون محذوفاً.

ومنه قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٧] (١).

لكنه لا بدّ من تقديرٍ محذوفٍ في مثل هذه الآية الكريمة، حتى يصدق الفاعلُ وتمييزه والمخصوصُ على شيءٍ واحدٍ، فيقدر أحدُ تقديرين:

أولهما: إما أن يكون: ساء أهلٌ مثل القوم الذين . . .

والآخر: ساء مثلاً مثل القوم . . .

وسواءً أكان هذا أم ذاك، فإن المضاف إليه يقوم مقامَ المضاف، ويأخذ حكمه الإعرابي.

ج - قد يُجرَّ الفاعلُ بالباءِ الزائدة فيكون دالاً على المدح أو الذمِّ مع التعجب.

«حكى الكسائي عن العرب: مررت بأبيات جُدُنْ أبياتاً، وجاد بهن أبياتاً» (٢) حيث ذكر فاعلُ (جاد) مرةً ضميراً بارزاً، وأخرى مسبوقةً بالباءِ الزائدة.

وقال الطرّمّاح:

(١) (ساء) فعل ماضٍ مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (مثلاً) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. والجملة خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (القوم) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. أو خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف. (الذين) اسم موصول مبني في محل رفع، نعت للقوم. (كذبوا) فعل ماضٍ مبني على الضم، وواو الجماعة ضمير مبني في محل رفع، فاعل، والجملة صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب. (بآياتنا) الباء: حرف جر مبني لا محل له من الإعراب. آيات: مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، وشبه الجملة متعلقة بالتكذيب. وضمير المتكلمين مبني في محل جر بالإضافة.

(٢) ارتشاف الضرب ٣ - ٢٨ / أوضح المسالك ٢ - ٢٨٩.

حُبٌّ بِالزُّورِ الَّذِي لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا صَفْسَةٌ أَوْ لِمَامٌ (١)
وفيه فاعلٌ (حب) (الزور)، وهو مسبوقٌ بالبَاءِ الزائدةِ .

استعمال هذا التركيب للتعجب:

يجوز استعمال التركيبِ الفعلي ذى الفعلِ الماضى المضمومِ العين استعمالَ الفعلِ
الدالِّ على معنى التعجب، من حيث:

أ- لا يلزم فاعله الإضمار، أو أداة التعريف (ال)، كما هو فى معنى المدح
والذم .

ب- أن يستغنى عن المخصوص .

ج- ومنه قولُ الأخطل يمدح خالد بن عبد الله بن أبى العيص:

فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمِزَاجِهَا وَحُبًّا بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ (٢)

يروى بضمِّ الحاءِ وبفتحِها، وكلاهما للمدح والتعجب، وفاعل (حب) ضميرُ
الغائبة المسبوق بحرف الجرِّ الزائد (الباء)، فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَكُفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا﴾ حيث فاعلٌ (كفى) هو لفظ الجلالة تعالى (الله)، وهو مسبوق بالباءِ
الزائدةِ . أما (مقتولة) فإنها منصوبةٌ على الحالية .

(١) شرح التصريح ٢ - ٩٩ / الصبان على الأشموني ٣ - ٣٩ .

الزور: الزائر، صفحة: جانب، لام: جمع لمة، بكسر اللام وتشديد اللام، وهى الشعر يجاوز شحمة
الأذن .

(حب) فعل ماض مبني على الفتح . (بالزور) الباء: حرف جر زائد مبني، لا محل له من الإعراب .
الزور: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر
الزائد . (الذى) اسم موصول مبني فى محل رفع، نعت للزور على المحل . (لا) حرف نفي مبني، لا
محل له من الإعراب . (يرى) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة، منع من ظهورها
التعذر . (منه) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بالرؤية . (إلا) حرف استثناء مبني، لا محل له
من الإعراب . (صفحة) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة . والجملة الفعلية صلة الموصول، لا
محل لها من الإعراب . (أو) حرف عطف مبني، لا محل له من الإعراب، (لام) معطوف على صفة
مرفوع، وعلامة رفعه الضمة .

(٢) الأصول فى النحو ١ - ١٣٧ / التبصرة والتذكرة ١ - ٢٨١ - أسرار العربية ١٠٨ / شرح ابن يعيش
٧ - ١٢٩ / الخزانة ٤ - ١٢٢ .

د- الأصل ضمُّ عينِ الفعلِ (حبّ) للمدح، فهو (حبُّب)، فإن نقلنا حركةَ العينِ إلى الفاءِ بعد حذفِ حركتها ضمت فاء الكلمة، وإن حذفنا حركةَ العينِ دون نقلِ فتحت فاء الكلمة، ثم يدغم المثلان، فيسكن الأولُ منهما.

هـ- ويقال: إن الباءَ في مثلِ هذا التركيبِ زائدةٌ على غيرِ قياسِ.

كما يقال: إنها للتعجبِ، أى: هى دليلٌ على التعجبِ.

و- ولأن فيه معنى التعجبِ، فإنه يجوز لك أن تقولَ فى: الوفى حَسَنٌ رجلاً:

الوفيان حَسَنًا رجلين . الأوفياء حَسَنُوا رجلاً .

والوفية حسنت امرأةً . الوفيتان حَسُنْتَ امرأتين .

الوفيات حَسُنَّ نساءً .

كما تقول فى (ما أحسن الوفى رجلاً):

ما أحسن الوفيين رجلين . ما أحسن الأوفياء رجلاً .

ما أحسن الوفية امرأةً . ما أحسن الوفيتين امرأتين .

ما أحسن الوفيات نساءً .
